



HARLEQUIN

روايات احلام



البدرة السوداء

شارلوت لامب



للكاتبة المميزة
شارلوت لامب
روايات احلام رقم 241

المُلْخَص

"كنت اللعبة التي تسليت بها، أليس كذلك؟ لقد

تجاهلت كل احتجاجاتي. واستغليتني بإحدى ألاعيبك

الصبيانية، ولكن يمكن لشخصين أن يشتراكا في

"اللعبة... والآن حان دورك لتكون لعبتي！"

دنزل بلاك مصاص دماء عاشق ينتقل من امرأة هدددها

اليأس إلى أخرى أسيرة الحزن... وهو الآن يتربص

بأنخت كلينر، أم تراه يسعى إلى كلينر نفسها؟ ولكن

كلير صممت هذه المرة على أن الاوامر قد حان

ليدرك هذا الرجل شعور من يقع ضحية للحب.

الفصل الاول

1- غريب في البحيرة السوداء

التقت كلير دنzel بلاك في اليوم الاول الذي وصل فيه الى البلده كان الفصل خريفا والاوراق على الاشجار قد اخذت لونا زيتيا تارة وقرمزيا او حمرايا تارة اخرى فيما السماء انصبغت بلون ارجواني عميق مائل الى الزرقة والجو انذر بعاصفة توشك ان تهب من الغرب.

كانت الرياح تؤر جح نافذة الوكالة فتصدر جلية عظيمة بينما لا تومض الا لتخبو مجددا تجم وجه كلير وغمر القلق عينيها الزرقاءين وراحت ترجو الاينقطع التيار الكهربائي فجأة كعادته في مثل هذا الجو العاصف على أي حال من الافضل ان تعود الى منزلاها لاسيما وان موعد الاقفال قد حان نهضت عن مكتبها

وشرعت ترتدى معطفها وهى تبعد خصلات شعرها
الشقراء عن رقبتها.

وفجأه انفتح باب المحل تاركا للريح حرية ان تتوجل في المكتب ففكرت كlier للحظة قبل ان ان تقول معتذرة بتهدىب : "انا اسفة ولكن الوكالة اقفلت ابوابها منذ برهة . الا تستطيع العودة غدا؟".

ولما كانت قد اطافت الانوار الرئيسية لم تستطع ان تتبين جيدا الرجل الواقف في المدخل. لكن، وفي الظلام الخفيف الذي سيطر على المكان ، لاحظت انه طويلا القامة اسود الشعر ، ويرتدى معطفا طويلا قاتما تتلاعب الريح بأطرافه وسمعته يقول بصوت عميق:
- قرأت لوحة الاعلانات خارج المنزل الذي يقع في أعلى "هانترز هيل" ...

اعني ذلك البيت الواسع الفيكتوري الطراز الذي

يتفرع عن الطريق . فهل ما زال معرضًا للبيع؟

تمت كلير ببطء ، وهي تحاول أن بين ملامحه في

الظلال : "البحيرة السوداء"

لكنها لم تر إلا ومض عينيه اللتين واظبتا على
التحقيق فيها .

وسرعان ما أجابت ، وهي تخنق قصيرة غريبة سرت في

جسمها : "نعم ، ما زال للبيع"

ولم تجد سببا لهذا البرد الذي اجتاحها إلا الريح
وعادت وركذت تفكيرها على المنزل القديم الواقع

عند طرف البلدة . لقد مضى زمن طويلا على عرضه

للبيع ولم يلق مشتريا بعد ، ولعل ذلك يعود إلى

ضخامته التي لا تناسب أي عائلة عادية . يمكن أن

يحوله أحد المهتمين إلى فندق صغير أو مستوصف

،ولكن حالته من السوء ما يستوجب اصلاحات مهمة

،قبل ان يصبح جاهزا للسكن .وها قد مرت سنتان

ومازال اسم البيت مدونا في سجلات الوكالة ولاشك

ان والدها سيسر اشد السرور حين يعلم انها

استطاعت اخيرا ان تبیعه او حتى أن تؤجره.

ومالبث الغريب ان سألهما: "أ تستطعين أن تأخذيني في

"جولة في المكان؟"

-نعم، بالطبع، ما رأيك في صباح الغد ؟ فلننقل في

الساعه الحادية عشرة ..

ثم اخرجت من درج مكتبها مذكرة وقلما بلا مبالاة،

أخفت بها حماسها الشديد لإنجاز هذه الصفقة . ولم

يكن ذلك بعسير على شقراء باردة مثلها ، لا سيما

وأن عينيها تسبحان في بحر ازرق شاحب شديد

الفتور .

لكن الرجل المتسلح بالسواط اجابها : "سأكون مشغولا طيلة نهار الغد فما رأيك أن تذهب الان؟"
وإذا بناقوس الخطر يقرع في عقل كلير ، فما كان منها الا أن ردت بأدب يفتقر الى الود : "أنا اسفة ، هذا ليس ممكناً"
فلطالما رد والدها على مسامعها ان مرافقته ركل غريب الى منزل فارغ محفوف بالمخاطر . ولهذا حرص دائما على إرشاد شخص معها في هذه المناسبات ومنذ تقاعد صار اخوها روبن يرافقها.

وروبن تلميذ في التاسعة عشرة من عمره يتبع دروسا في ادارة الاعمال في المعهد التقني المحلي لكنه ضخم الجثة قوي العضلات فهو يمارس رياضة الركبي في المعهد ولطالما شعرت معه كلير بالامان
– ماذا تعنين انه ليس ممكنا؟

كان سؤاله مقتضبا على نحو فظ جمد أو صاها ولكنها ردت : "يبدأ العمل هنا من التاسعه وحتى الخامسة والنصف يا سيد.."

فقال بذلك الصوت العميق والغامض : " بلاك .. دنزل بلاك .. هل المدير موجود؟"
- أنا المديرة.

ولما شعرت بأنه لا يصدقها أضافت : " وهذه وكالي "
- لكن اللوحة على الباب تقول أن جورج سامر يدير هذه الوكالة.
- هو والدي لكنه تقاعد الان تاركا لي ادارة الوكالة
- فهمت

واحست به يحدق فيها فيما عيناه تتألقان في هذا
الظلم الباهت

- حسنا يا آنسة سامر .. انك متزوجة؟

ترددت لبرهة وشعرت أنها لا تريده ان تفصح له عن اسمها بطريقة العناد غير مألوفة لديها ولا منطقية لكن شيئاً ما فيه بدأ يزعجها ورغبت فجأة بالخلص منه باسرع ما يمكن فأجابت باختصار : "أنا كلير سامر :

- اذا لست متزوجة؟

فهتفت بنبرة تكاد تكون حادة : "لا ! اسمع انا اسفة يا سيد بلاك . ولكن لا وقت لدى حقا لاريک البيت

"الليلة"

فبادر حدتها بحدة اشد : " انسه سامر ، إما انك تريدين بيع "البحيرة السوداء" وإما لا . ففي الغد سأسافر الى الخارج لا شهر عدة ، ولهذا لا أستطيع ان ارى المنزل إلا الليلة . فاختاري إما ان تصحبيني اليه حالاً واما انسني المسألة برمتها "

ترددت وهي تعض على شفتها السفلی . لاشك ان اباها وأخاها غير موجودين في المنزل الان، فقد ذهبا لمشاهدة مباراة في الرکبي في البلدة المجاورة ولن يعودا قبل ساعتين . صحيح ان بامكانها ان تطلب من

لوسي

ان تلقيها في "البحيرة السوداء" فلا بد انها عادت من عملها في هذا الوقت ، فهي تعلم في المدرسة الابتدائية المحلية وتعود الى المنزل عند الخامسة مساءً.

ومالبث دنزل بلاك ان اعلن وقد عيل صبره :

"هيا قرري فمحاميتي هيلين شيرارد تنتظر في السيارة
وأظن انك تعرفينها "

لقد أردتها ان ترى المنزل ايضا لكن لا انوي ان

"اجعلها تنتظري مدة اطول "

وهنا اطلقت كلير تنهيدة حفيفة عبرت عن ارتياحها :

" هيلين! نعم اعرفها طبعا حسنا سيد بلاك

سأصطحبك الى "البحيرة السوداء"

الآن لكن لدي موعدا اخر عند السابعة ولا استطيع

ان اتاخر اكثرا لذا سنقوم بجولة سريعة"

ثم التفت الى خزانة الملفات وراحـت أنا ملـها تبحث

عن ملف "البحيرة السوداء" وما ان وجدته حتى

اخـرجـت مـجمـوعـه من المـفـاتـيـحـ من صـنـدـوقـ مـقـفلـ مـثـبـتـ

في الجـدارـ وأـقـفلـتـ الخـزانـهـ وـالـصـنـدـوقـ مـجـدـداـ .ـ وـقـبـلـ انـ

تـغـادـرـ المـكانـ اـخـتـلـسـتـ النـظـرـ الىـ المـرـآـهـ الـتـيـ تـزـينـ

الحائط

فيما زررت معطفها الشتائي الاحمر القائم الذي امتد

إلى منتصف ساقيها.

في ذلك الوقت كان دنزل يراقبها فقال بتشدق:

" معطفك يكاد يكون فيكتوري الطراز .. وهو
يناسبك " .

ولما سمعت هذا المديح التهكمي رمقته بنظرة جافة
قائلة :

" شكرأً "

اذاً يظن هذا الغريب انها قديمة الطراز ولا شك أنه
رمي الى اهانتها لكنه لم يصب هدفه . فكلير لا تمانع
في هذا الوصف البته لاسيما ان صدر من رجل مثله
ولا مجال لانكار انه جذاب فعلا ، فقد شعرت كلير
بقوة مغناطيسية جذبتها اليه ما ان دخل هذا المكان .

لكنها تعلمـت منـذ زـمن طـويـل الـاتـقـ بالـرـجـال لـاسـيمـا
بـأـوـلـئـكـ الـذـينـ يـفـيـضـونـ بـالـجـاذـبـيـةـ فـضـرـبـ منـ الجـنـونـ انـ
تـتـعلـقـ المـرأـهـ بـرـجـالـ دـلـلـتـهـمـ الـحـيـاةـ حـتـىـ اـفـسـدـتـهـمـ إـذـ انـ
الـاـمـرـ اـشـبـهـ بـأـنـ تـسـيرـ بـإـرـادـتـهـاـ فـيـ

طريق نهايته الجراح. لذا على المرأة المتعقلة ان تترك
البعد يفصل بينها وبينهم وان تعاملهم بمنتهى البرودة
والجفاء. وكلير اصبحت خبيرة في ذلك الان.

وحين تأكّدت من أن ادراج مكتبها مغلقة التقطت
حقيقتها ومظلتها، ثم تقدّمت نحو دنزل بلاشك . كان
الظل ما زال يحجب وجهه، ولكنها تبيّنت يده وهي متقدّمة
إلى الباب الامامي لتفتحه لها.

- على ان اضبط جهاز الانذار ثم اقفل الابواب.

- سأنتظرك عند السيارة.

نظرت كلير الى السيارة السوداء الانيقة . صحيح أنها
ليست مهووسة بالسيارات ، ولا تستطيع ان تتکهن
طرازها، لكن المرء لا يحتاج الى خبير ليعرف أنها فاخرة
وباهظة الثمن. وان استطاع دنزل بلاشك أن يقتني مثل
هذه السيارة فلا بد أنه قادر على شراء " البحيرة "

السوداء". وهذا وحده يحدد أحد الشكوك التي
ساورتها عنه.

وحين انتهت من مهمتها ، التجهت نحوه لترافقه في حين
لم يوقف سيل نظراته، فراح يتاملها بدءاً بشعرها
الناعم القصير مروراً بساقيهما الطويلتين الرشيقتين
وانتهاء بقدميها الرائعتين كانت كلير ترتدي ملابس
بسطه كلاسيكيه لا تبطل موضتها وقد اعتادت ان
تحتار ثيابها لا طبلاً لإعجاب الرجل بل للإحساس
بالراحة والهدوء وهمما شعوران فارقاها تحت وطأة نظراته
المليئة بالسخرية والتسليه.

فمجرد خضوعاً لتفحص عيني دنزل بلانك لاسيما
وهي تدس رجليها الطويلتين في السيارة كفيل بأن
يوقظ الرعشة في جسدها وعرفت أن هذا الرجل
يشكل مصدراً حقيقياً للمشاكل.

ولما أصبحت في الداخل التفت هيلين من المقعد الامامي وابتسمت ابتسامه مهذبة ثم حيتها :

"مرحبا كلير"

ودت كلير لو تغتنم الفرصة فتطرح عليها بعض الاسئلة عن زبونها. لكن دنزل بلاك سرعان ما دار حول السيارة ثم صعد إليها قبل ان تنبس كلير بنت شفة.

فاكتفت بابتسامه ودية وقالت :

"مرحبا هلين ، كيف حالك؟"

- جيده

ورغم ذلك لم تستطع كلير الا ان تلاحظ شحوب وجهها فبشرتها التي لطالما كانت قشدية اللون ومتوردة تفتقر الليلة الى اللون. اما عيناهما الخضراءان اللتان تتألقان حيويه فواهنتان ناعستان وكأنهما مغرمة .

وسرعان ما شاحت كلير بوجهها وقد أجهلت بنات
افكراها . ترى، هل هيلين مرتبطه بعلاقة مع زبونها؟
فمنذ طلاقها من بول وهو صاحب فندق محلي
مشهور وهي تنتقل من علاقة الى اخرى وما ان
استقلت بنفسها حتى اصطف الرجال لارضائهما .
ويكفي في هذه البلدة الصغيرة المنعزلة أن تواعد المرأة
اكثر من رجل في سنه واحده لتقدوا محور حديث
السكان . فكيف إذا بھلين التي شوهدت برفقة عدد من
الرجال منذ انفصالها عن بول ؟ لكن أيها من علاقتها لم
يعمر طويلاً أو يبن على أساس متينه ، ولعل ذلك يعود
إلى شعورها بالامان في تسلسل الاشخاص أول علها
اكتسبت ببساطه مزيجاً من التهور والجموح بعد
طلاقها . وتقول الشائعات إنها تшاجرت مع زوجها
بعد علاقة غرامية عابرة أقامها مع نزيلة

في الفندق علاقة لم تستطع أن تغفرها له قط.

انطلقت السيارة ببطء أولا ثم ازدادت سرعتها مع
ابتعادها عن الرصيف. وبدا واضحًا أن دنزل بلاك
يدرك وجهته جيداً لذا لم تضطر كلير إلى ارشاده إلى
الطريق وما كان منها إلا أن استندت رأسها إلى الوراء
وراحت تراقب يديه وهما تسكان بالمقود ولشدة ما

كانت تتأملها

لاحظت شعيرات سوداء خفيفة تغطيها وفجأة مزيج
من الرشاقة والقوة فيهما وبعد أن فرغت من مراقبة
أناملة الطويلة انتقلت إلى رسغه وقد زينته ساعه ذهبية

لماعه ثم عادت مجددًا

إلى إصبعه حيث وقع نظرها على خاتم ذهبي ثمين نقش
عليه شعار النباله.

أما وجهه فما زال خفيا عنها لكنها تلمح شعره
الأسود الكثيف واللماع كلما مروا بمصباح في الشارع
وبدا معطفه من الكشمير الداكن . انيقا وغالي الثمن
أيضا نعم لاشك أنه يملك الكثير
من المال في ذلك الوقت كانت هيلين تهمس فس اذنه
بكلمات لم تسمع كلياً معظمها . لكنها سألته بصوت
أجش ونبرة تحمل قدراً من الغضب : "وكم تنوی ان
تبقى في الولايات المتحدة؟"
هذا كتفيه بلا مبالغة وأجاب:
"شهران، وربما اثنين"
فردت بصوت يخالطه الاسف :
"كل هذه المدة؟"

وهنا قطبت كلين وهي تشعر بالحزن لأجلها وراحت
تتذكر الايام التي تملكتها فيها مثل هذه المشاعر
بسبب رجل . لكنها تجربة تنوي ألا تكررها ابدا ففيها
من الألم ما لا تود أن تعتاد عليه مطلقا . وبعد برهة
توقف دنزل بلانك قليلا بسبب زحمة السيارات
واستقل الموقف ليلتفت الى كلين في الخلف ويقول:
" إذا قررت أن اشتري هذه الملكية فستمثلني هيلين

" أثناء سفري "

فردت كلين :

" حسنا .. هل تعيش في غرينهاوي في الوقت الحالي

" ياسيد بلاك ؟ "

- كلا ، بل اعيش خارج البلدة ، مع أخي هيلين وزوجته
في منزلهما الجميل .

وتمتمت هيلين بصوت أبح :

" وهكذا التقينا ".

لم تكن كثير تعرف هيلين جيداً فغالباً ما جمعتهما
الاعمال وصفقات الزبائن بدل اللقاءات والزيارات
الاجتماعية كما أن هيلين تشكل جزءاً من ذلك
المجتمع الراقي الذي لم تكن كثير تنتهي إليه فعدا عن
المال امتلكت اسرتها أراض مهمة وورث جيمي ستور
بيتا ريفيا يعود إلى أيام الملكه آن تحيط به أراض خصبة
تبليغ مساحتها بضع مئات من الأكرات
وتقع خارج بلدة غرينهاوي وفيما رعى هو شؤون
المزرعة قامت زوجته بإدارة فندق يعتبر بمثابة مقر ريفي
لأصحاب الأموال والأملاك وهو يضم مطعماً صغيراً
اكتسبت شهرة في أنحاء الأقليم لأسلوبه المتميز في
الطهو، فلورا ستور طاهية ممتازة تستخدمن دائماً
المكونات الطازجة من المزرعة مباشرةً وعمل الاثنان

بجد لكنهما جازفا كثيرا أيضا حتى أصبحت حيا تهما
الاجتماعية غنية وأصبحا محط أنظار السكان
والوافدين.

وبالمقابل لم تكن عائلة كلير تنتمي الى البيئة نفسها
لكن ذلك لم يضايقها بتاته ، فلا الحفلات الصاخبة
تسليها ولا النوادي الفخمة تدخل البهجة الى قلبها
أما الفرق الرياضية وحفلات العشاء فلا تمت اليها
بصلة بل كانت تستمتع بالسير والسباحة وهي تقضي
الوقت برفقة عائلتها وعدد يسير من أصدقائها
المقربين وهكذا تراها تختلف عن هيلين شيرارد اختلافا
كبيرا لم يخل رغم ذلك دون تقديرها لتلك المرأة
وإعجابها بأخيها وزوجته.

ومؤخرًا كان الاسف سياورها على حال هيلين وبعد
طلاقها بات فيها من الكآبة ما عجزت عن إخفائه

وليت الغباء لا يبلغ بها حد الوقوع في حب رجل
بالكاد تعرفة ! وحانت من كلير التفاته الى المرأة فوق
رأس هذا الرجل واذا بها تقع على البريق في عيني دنزل
بلانك الرماديتين . بدت لها حدقته واسعتين وكأنهما
من الكهرمان الأسود الذي منح العينين لونه أما جفناه
فثقيلان يحملان رموشا كثيفة . وحين أمعنت كلير النظر
في المقلتين الغريبتين تحاول ان تسبّر أغوارهما انسدل
الجفنان فجأة ليختفيا التعبير ثم أشاح بوجهه لتتلاشى
صورته بغته من المرأة .

أجفلت كلير وهي تتمنى لو ستحت لها فرصة تأمل
لامحه فمهما حاولت ظل الفضول يتملّكها ترى ما
حقيقة مشاعره تجاه هيليت ؟
أيصطحبها الى "البحيرة السوداء" بصفتها محامية أو
بحكم علاقة شخصية أكثر ؟ أيا ملأن يكون هذا

البيت العش الذي سيجمعهما مستقبلاً؟ لكن أني لها
من اجابات على هذه الاسئلة؟

عندئذ كانوا قد غادروا البلدة ليبلغوا الريف الاخضر
الذي يشرف على هنتر هيل القرية من غرينهاوي.

فطالعهم من جهة البحر الرمادي العاصف وقد
تكسرت أمواجه عند المنحدر الصخري فيما الافق
يكاد يختفي تحت نور الشفق وقد مال الى السواد اما
من الجهة الاخرى فمراجع واسعه تسرح فيها الخراف
ومستنقعات داكنة وتلال مرتفعه بدت من بعيد وكأنها
حيوانات رابضة تتمطى في الافق وأصبح بامكان المرء
أن يرى "البحيرة السوداء" فكيفما حول نظرة لن يقع
الا على أبراج وشرفات تعانق السماء في حصن من
الطراز الفيكتوري القوطي أشبه بقصور القرون
الوسطى. تمت هيلين:\\

" يالهـي ! إـنه مـخـيف "

فضـحـك دـنـزـل بـلـاـك وـاجـاب :

" الـا تـحـبـينـه؟ "

وـقطـبـتـ كـلـير وـقد اـحـسـتـ أـنـ رـدـ هـيـلـيـنـ قـلـمـاـ يـهـمـهـ وـمـهـ
ذـلـكـ لـاـ يـعـنـيـهـ الـاـ انـ الفـضـولـ حـوـلـ عـلـاقـتـهـمـاـ ظـلـ
يـزـدـادـ تـدـرـيـجـياـ.

وـأـنـتـهـىـ بـهـمـ المـطـافـ بـعـدـ لـخـظـاتـ أـمـامـ بـوـاـبـةـ حـدـيـدـيـةـ
مـصـنـوـعـهـ بـاـتـقـانـ . فـتـرـجـلتـ كـلـيرـ مـنـ السـيـارـةـ وـتـوـجـهـتـ
نـحـوـهـ وـهـيـ تـنـتـقـيـ مـفـتـاحـاـ مـنـ الجـمـوـعـهـ التـيـ فـيـ جـيـبـهاـ
وـلـمـ كـانـ الصـدـأـ قـدـ اـجـتـاحـ القـفلـ تـطـلـبـ مـنـهـ الـاـمـرـ
جـهـداـ مـنـ مـلـحـوظـاـ مـاـ دـفـعـ دـنـزـلـ بـلـانـكـ إـلـىـ التـرـجـلـ
بـدـورـهـ وـالـتـقـدـمـ لـلـمـسـاعـدـةـ.

" دـعـيـنـيـ أـقـوـمـ بـذـلـكـ. "

زفيمتا كانت يده تتد الى المفاتيح لامست أناملها
فأحسست وكأن تيارا كهربائيا يسري فيها وما كان منها
الا أن اجفلت وتراجعت قليلا الى الخلف رماها بنظرة
جانبية مبطنه حتى شعرت بالاحمرار يتتصاعد الى
وجنتيها واستبد بها الغضب لم تصرفت على هذا
النحو بحق السماء ؟

لا شك انه سيظنها واحده من المراهقات اللواتي تتورد
خدودهن ما إن يقترب منهن رجال ما !
وبعد ثوانٍ دار المفتاح في القفل مصشدا صريرا
مزعجا فتقدم ودفع البوابة الى الامام.

" يحتاج هذا القفل الى الزيت ."
" نعم سأحرص على ان يتم ذلك في الغد ."

ومنزدج من الارتباك والانزعاج استردت المفاتيح ثم
عادت أدراجها الى السيارة فيما سار دنزل بلاك
خلفها.

وكانت الريح تز مجر وتتلاءب بأشجار بساتين "البحيرة
السوداء" فاختلست النظر اليه لترى معطفه الاسود
الطوبل يتطاير حول رجليه وكأنه بات يملک جناحين
ويستعد للألقلاع والاختفاء خلف جناح الليل.

بعدئذ انطلقت السيارة ببطء على طول الطريق
المتعرجة التي تخللتها الحفر واجتاحتها النباتات
والاعشاب وبين حين واخر كانت أرانب برية لم يظهر
منها غالا اذنابها البيضاء القصيرة تعترض سبيلهم.
كان كم الصعب عليهم ان يتبعوا البستان فعلا لكن
كثير تعلم ان نباتات الوردية والغار تنتشرش اكواما
على ناحيتي الطريق وفجأة لاح لهم طيف المزل الفارع

بنوافذه المغلقة وكأن الحياة فيه معدومة ولا حظت كلير
شبحاً أسود يرفرف حول البرج العالي سرعان ما عرفت
انه خفافش.

ولما كانت تعلم ان سرباً من الخفافيش يعيش على
السطح تساءلت إن كان دنzel بلانك سيبدل رأيه
بسببها فبعض الناس يكره الخفافيش لابل يرتاع منها
لسبب لم تستطع ان تتفهمه يوماً فهي مخلوقات
صغريرة جداً لا تهتم الا بالتهام الحشرات ولا تشكل اس
خطر على الانسان ومع ان كلير تود لو تحافظ
بالبعض منها في كوخها الـ انها قررت عدم ذكر امرها
لدنzel بلانك
وهنا سألهـا:

"اليس من ناظر يتولى الاشراف على المنزل؟"

فهزت كلير رأسها نفيها واردفت :

" لم يرد المالك أن يدفع ليوظف أحدا فقد انتقل للعيش في اوستراليا ولا نيه له بالعوده الى هذا المكان وكل مايرغب فيه هو بيع المنزل صحيح أنه مازال مفروشا لكن ان كنت مهتما فعلا بشرائه يمكن التخلص من المفروشات في المزاد العلني فيصبح المكان فارغا. "

فرد بغموض وهو يحدق في السماء :

"سنرى"

ونظرت هيلين الى السماء بدورها وسرعان ما طلقت صرخه عاليه :

"آه..ماهذا"

فأجاب دنزل بلانك بنعومه :

" إنه خفافش.. وهو من النوع البني الصغير الذي يدخل البهجة الى القلب .. كما انه بالكاد يفوق حجمه

فراشة كبيرة ترى أى عقل أن أقع على سراب على السطح؟ لاشك أن المساحه واسعه تحت العارضة

الخشبية وهذا بالضبط مسكنها المفضل "

بدا لكثير أنه يعرف الكثير عن الخفافيش وهذا يعد في صالحه . ولم تتمالك نفسها فابتسمت ورأت لبرهة عينيه القائمتين ينعكس في المرأة.

" أتحبين الخفافيش يا نساء سامر؟ "

" بل أعشقها وأود أن أقتني البعض منها في منزلي . "

" أتكلكين منزلا خاصا؟ "

فأقررت:

" أقوم بتجديده كوح ريفي قديم لا يبعد عن هنا كثيرا . وأعمل على اصلاحه في كل عطلة نهاية الأسبوع . أما باقي الايام فأعيش مع عائلتي في البلدة "

عندھا علقت هلين وقد أبدت بعض الحماس للمرة الأولى :

"أنا مهتمه بالتصميم الداخلي فهل تصممين الديكور
بنفسك يا كلير؟"

فأجابت كلير بحفاء:

"في الوقت الحالي أقوم بإصلاح السطح ثم علي أن
أكسو السقف والجدران بالجص.

أما الديكور فما زال الوقت مبكرا عليه."

بدت هيلين مرتاعه وهي تقول :"تكلمين وكأن المنزل

في حالة دمار شامل"

فضحكت كلير وأجابت :

"إنه كذلك فعلا"

"ولماذا اشتريته بحق السماء؟"

فردت كلير فيما السيارة تتوقف أمام المنزل :

" عدا عن ان الثمن بخس أعتبرت ذلك بمثابة تحدي
لقدراتي "

أجابت هيلين وتعابير السخرية ترتسم على وجهها :

" أنت أشجع مني إذن ! "

في ذلك الوقت شعرت كلير بدنزل بلاك يتفرس فيها
بعمق في مراه السيارة لكنها لم تحاول ان تلتقي بنظراته
المحدقة بل انتقت مفتاح الباب الامامي الكبير
وخرجت من السيارة ثم صعدت الدرجات حتى
الباب.

وفي هذه المرة دار المفتاح في القفل بسهولة أكبر
فانفتح الباب محدثا صريرا طويلا وراحـت كلير تتلمس
المكان تحثـا عن زر الكهرباء على جدران الرواق
المكسوة باللوح الخشبية وأذا بالنور ينبعث فجأة
من ثريا تتدلى فوق رؤوسهم فيما امتدت أمامهم قنطرة

علق عليها خليط مدهش من الصور الزيتية
والمخطوطات والصور المطبوعة والصور الفوتوغرافية
الموضوعه في أطر فضية فضلا عن الأسلحه والدروع
ورؤوس الحيوانات التي علقت على الواح خشبية.
ولما كانت الريح تعبث في الرواق سمعوا صوت باب
يصفق فجأة في مكان ما في الاعلى وارتجت نوافذ
المدخل الزجاجية جميعها فصرخت هيلين بصوت أشبه

بالنحيب :

"هذا رهيب!"

ثم لفت معطفها حولها حتى لم يبد منها الا وجهها

الصاحب وأردفت :

" لا يمكن أن تكون جادا في نيتك شراء هذا المكان

يادنzel إنه أشبه بمقبرة وليس بمنزل "

كان على كلير أن تقر أن الجو بارد فعلاً لسبب لا
يعود إلى خلو البيت أو حلول فصل الخريف بل خيل
اليها أن برودة قديمه قد تغلغلت في أحجار المنزل
وغرميه وأن الدفء لن يدخل فيه أبداً ولو أشعل الماء
موقداً في كل غرفة رد دنزل وهو يفتح الباب الأول
الذي يتفرع عن الرواق:

"ستتكلف التدفئة المركزية بنشر الدفء فيه ولن

يكون تركيبها بالملهمة الصعبة."

في هذه اللحظات بالذات استطاعت كلير أن ترى
وجهه للمرة الأولى بدا صارماً بفمه الواسع الجذاب
وانفه القوي وعينيه الشاحبتين اللتين لا يفارقا نهما
البريقوشـره الأسود المتـدلي حتى الصـدع باختصار كان
كل من ملامـحـه يـناـقـضـ الآخرـ مما يـجـعـلـ وجهـهـ موـضـوـعاـ

تصعب دراسته أو تحديده وفجأة تتم وهو يتأمل

حجرة الاستقبال الرئيسية :

"أحب الغرف الكبيره "

فوافقت كلير :

"وهذه الغرفة كبيرة فعلاً "

لكن هيلين تأوهت :

"كبيرة؟ بل إنها ضخمة "

امتدت النوافذ من السقف الى الارض وعلى جانبي

الغرفة وقد وضعت بقربها مقاعد وثيره تتميز غرف

المنزل كلها بسقوف عالية وقد تدللت من سقف

الحجرة ثريا أخرى أضفت على المكان بريق الحفلات

وفي الغرفة أيضا موقد خشبي أشبه بمقعدة السفينه

مكسوا بالاجر من الطراز الفكتوري تزين خلفيته

الذهبية صور تذكر بالقرون الوسطى.

كان الاثاث قد يما وباليا بشكل عام . فالكرياسي الفيكتوري قد خسرت معظم حشوتها والستائر بدت رثه جداً فيما البسط ممزقة بالية . لكن أينما نقل المرء بصره وقع على صور وزخرفات متنوعة حفلت بها جدران هذه الغرفة تماما كالرواق بل كان فيها من الصور ما يدفع العقل الى الدوران فيجول البصر ويحول حتى يعجز عن رؤية المزيد .

وهنا قال دنزل بلاك :

" رائع ! "

لكن هيلين اشتكت :

" المجموعه تناسب شاحنة النفايات ! "

فسأل دنزل بلاك :

" أقلت إن المجموعه بأكملها ستعرض للبيع؟ إن

اشترت المنزل أود ان اختار بعضا منها "

" أنا واثقة من أنني استطيع تدبر ذلك. "

في الواقع كانت كلير لتسعد لو تمكنت بيع جزء من المقتنيات فقط إن بعض التحف قيم لكن الاثاث بجمله في حالة ردئه وقد يباع في المزاد لقاء سعر زهيد لا غير. ومع ان والدها اعتاد أن ينظم هذه المزادات ، الا انها كانت تمثله في المبيعات فمثل هذه الاجراءات يستغرق ساعات مما يرهق أبيها ويضطرها الى المناوبة عنه حتى نهاية المزاد ومن هنا تعلمت تقدير بعض التحف بمجرد النظر اليها وأصبحت تعرف كم من المال سيدر بيع اثاث "البحيرة السوداء"

وعادت هيلين الى الشكوى وهي تلحق به الى الغرفة الاخرى فيما طايرت حوله أوراق مصفرة تسللت من

الباب الامامي المشرع :

" آه ، دنزل لا يمكن ان تكون جاداً فعلاً! "

و قبل ان تلحق كلير بحثاً توجهت نحو الباب لتغلقه
ولما عادت وجدتهما في رواق الخدم المعتم ، وهي غرفة
طويلة ضيقة بشبابيك صغيرة زطلاء بنى قاتم . وقد بدا
واضحاً أن الجدران كانت في ما مضى ناصعة البياض
وقد علقت عليها سلسلة من الأجراس دون فوق كل
منها اسم الغرفة المناسبة . كما تدلّت من السقف
مجموعة من العلاقات القديمة التي تثبت اللحوم
والاعشاب إضافة إلى بكرة مكسورة للغسيل فوق
طاولة كبيرة يجلس عليها الخدم . وبعد أن أجالت هيلين
نظرها في المكان قالت بنفور واضح :

"كم هو باعث للكآبة ! "

فرد دنزل ، وهو يمرر إصبعه على الرفوف المغطاة

بالغبار :

"كل ما يحتاجه هذا المكان هو طلاء ناصع البياض،
وورق جدران جميل! يبدو لي ان هذه الخزانة من عمر
البيت "

فأقرت كلير:

"هذا صحيح وكما تلاحظ بعض هذه الاواني الخزفية
الصينية نفيس فعلاً ويعود معظمها الى الحقبة
الفكتورية وأظن أنها ستتابع بسعر جيد في المزاد"
"قد أرحب في الاحتفاظ بها كلها."

فتأوهت هيلين وقالت:

"يإلهي! ستبدو وكأنك تعيش في متحف!"

على الرف الاعلى من الخزانة وقعت عيناه على إنااء
فيه ازهار ذلت منذ زمن فبدت مغبرة يابسة يلفها
نسيج عنكبوت ارتاح عليه جسم عنكبوت محظ
مخيف.

حدقت هيلين فيه وقد أصيّبت بربع عظيم ثم لفت
معطفها حول نفسها ورمقت دنzel بلاك بنظرة مؤنثة

وقالت:

"وكأن المكان مسكن فلا أنفك تخيل قيام المالكين
من الموت ولا استطيع تحمل ذلك بعد الان لذا
سأعود الى السيارة فأسرع قبل أن أتجمد من البرد"
وهرولت مسرعة فيما كعباها يحدثان جلبة على أرضية
الرواق وبعدئذ ارتفع صرير الباب ثم صفق مرجعا
صدى مدويا. تمت كلير :

"أخشى أنها لا تحب المنزل"

فرد دنzel بلاك متشدقاً فيما لمعت عيناه:

"ولكنها لن تسكن فيه"

ألن تفعل؟ها قد ذهبت نظريتها الاولى أدراج الرياح
فمن الواضح أنه لم يحضر هيلين الى هنا لترى عشها

المستقبلية لكن هل تعرف هي ذلك؟ لا يبدو ذلك فهيلين تتصرف مع دنزل وكأنها تمتلكه، مما دفع كليرالي الجزم ان علاقتهما تتعدى الاطار المهني.

ورفت نظرها الى دنزل بلاك فلمحت تسلية ساخرة لاذعه في عينيه البراقتين لاشك أنه كان يراقبها ويقرأ أفكارها وهذه الفكره وحدها جعلت الاحمار الطفيف يدب في بشرتها.

ومالبث ان قال :

" أردت منها أن تسدي إلي نصيحة تتعلق بقيمة الملكية "

فأجابته كلير على الفور :
 " أنها صفقة رابحة لاسيما إذا أخذنا حجمة والاراضي الواسعة التي يشملها بعين الاعتبار ."

وما ان سكتت حتى رمقطها بنظره قاسية وقال :

" من الطبيعي ان تقولي هذا أليس كذلك؟ لهذا أملت
أن تعطني هيلين رأياً محايداً والآن هلا صعدنا الى
الطبق الأعلى وألقينا نظرة على بقية المكان؟ "
ولما صعدا خيل اليها أن المكان بات أكبر حجماً
وأكثر فراغاً وكانت كل خطوة يخطوانها ترجع أصداها
فيما الواح الأرضية تصر تحت وقع خطواهما ومما زاد
الطين بلة أن الجو أصبح شديد البرودة.

ودت كlier لو تلحق بهيلين الى الخارج لكنها ذكرت
نفسها بنسبة الارباح التي ستنالها الشركة بعد بيع
البيت لهذا ظلت تتبع دنزل بلاك من غرفة الى أخرى
وهي تجبر نفسها على التفوه بأي تعليقات ذكية قد
تشير حماسه لكنها في الحقيقة كانت تفك في جنونه
الذي يدفعه الى التفكير بشراء هذا المنزل ونظرت الى
سرير عال ستائرة حمراء داكنة وبالية قبل ان تتحول

الى مصباح بالقرب منه عكست نوره مراة من الطراز
القزطي ذات اطار من السنديان لاشك ان هذه المراة
ستباع سريعا في المزاد العلني، فحجمها يناسب البيوت
الحديثة وهي تلائم تماما النزعة الحالية للفن الحديث.

واستغرقت في تأملها فتبع دنزل بلاك نظراتها وقال

مباشرة:

" إنها ساحرة وسأحتفظ بها بالتأكيد "

فسألته بوضوح وقد تأكدت من ذوقه الرفيع :

" ماذا تعمل يا سيد بلاك؟ اعني مامهنتك؟ "

" في الوقت الحالي لا مهنة لي. "

ثم هز الستارة وراح يراقب كيف يتغير الغبار منها

وأضاف :

" لكن لا تقلقي سأدفع لك ثمن المنزل نقدا غدا ان

اشتريته.. فلن يشكل المال مشكلة "

لـكـنـهـاـ لـمـ تـفـكـرـ فـيـ ذـلـكـ فـتـابـعـتـ أـسـئـلـتـهـاـ وـنـارـ فـضـوـلـهـاـ لـمـ
تطـفـىـ بـعـدـ:

" وـأـينـ تـعـيـشـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ ؟ـ أـعـنيـ عـدـاـ عـمـ أـنـكـ
تـقـيـمـ فـيـ فـنـدقـ جـيـمـيـ سـتـورـ ؟ـ "

رـمـقـهـاـ بـنـظـرـةـ فـيـهـاـ مـزـيجـ مـنـ السـخـرـيـةـ وـالـجـفـاءـ ،ـ ثـمـ قـالـ:
"ـ فـيـ لـوـسـ أـنـجـلوـسـ "

فـاتـسـعـتـ عـيـنـاهـاـ اـشـارـةـ إـلـىـ أـنـهـاـ لـمـ تـكـنـ تـتـوـقـعـ ذـلـكـ :
"ـ حـقـاـ؟ـ لـكـنـكـ لـسـتـ أـمـرـيـكـيـاـ الـيـسـ كـذـلـكـ ؟ـ "

لـقـدـ لـاحـظـتـ لـكـنـتـهـ الغـرـيـبـهـ لـكـنـهـاـ مـتـاـكـدـهـ مـنـ أـنـهـ
لـيـسـ اـمـرـيـكـيـهـ.

"ـ كـلاـ لـقـدـ وـلـدـتـ فـيـ اـسـكـوـتـلـانـدـاـ مـعـ اـنـيـ لـاـ اـذـكـرـ عـنـهـاـ
شـيـئـاـ إـذـ تـرـكـتـهـ ماـ اـنـ بـلـغـتـ الثـانـيـةـ مـنـ عـمـرـيـ وـعـشـتـ
فـيـ مـانـشـسـترـ حـتـىـ صـارـ عـمـرـيـ اـحـدـيـ وـعـشـرـيـنـ سـنـهـ

لكن في السنوات الأخيرة من أيام المراهقة أمضيت

سلسلة من العطلات الممتعة في غرينهاوي.

" وهذا عدت ؟ "

وترقصت نظرات التسلية في عينيه وهو يجيب :

" أهذا ما تريدين معرفته؟ لماذا عدت الى غرينهاوي؟ في

الواقع أجابة على سؤالك لقد عشت في كالفورنيا

لسنوات لاسيما في لوس انجلوس وبيفري هيلز "

حدقت فيه وهي عاجزة عن كبت السؤال:

" بفري هيلز؟ انت لاتعمل في مجال الافلام اليس

كذلك؟ "

ثم ضحكت وهي تتوقع منه أن يهز رأسه نفيا

لكنه اجاب بهدوء:

" بلى "

فبدت كلير غير مصدقة وهي تسأله :

" وماذا تفعل؟ لست ممثلاً طبعاً؟ "

لكنه قد يكون ممثلاً فعلاً فشكلة وجاذبيته مناسبان تماماً وبامكانهما أن تخيله في هذا المجال.

" لقد مثلت قليلاً منذ سنين مضت لكنني لعبت أدواراً ثانوية إلا أنني أردت أن أكون وراء الكواليس فعملت وظائف عده في هذا الميدان وأصبحت مصورة فوتوغرافية ومصورة سينمائياً ومصمم مسارح أما طموحي فكان الالتحاق وحققت حلمي أخيراً لكنني في الوقت الحالي بلا عمل .. فعدت إلى بريطانيا لأنني أردت أن ابتعد عن السينما قليلاً. "

" هل اخترت غرينهاوي لأن فيها ذكريات لم تعرفها في اسكتلندا؟ "

فأوما وأجاب :

"كانت لي ذكريات جميلة في غرينهاوي ك أيام الصيف
على شاطيء البحر والنزهات قرب المستنقعات وقد
سلمني وكل سفر كتيب عن فندق جيمي ستور لهذا

"انا هنا "

وأزال الغبار عن يديه بمنديل وهو يكشر قائلا:

"البيت كله قذر جدا "

ثم أSEND ظهره الى الجدار وعيناه القاتتان الثاقبتا النظر

هائتان:

" حسنا لنتقل الى حديث الاعمال آنسه سامر أنا
متاكد أنك تدركين أن السعر باهظ مقارنه مع حالة
المنزل فعلي ان أنفق ثروة لأقوم بالاصلاحات قبل ان
انتقل اليه لكنني ساعطيك السعر الذي انا مستعد
لدفعه ويمكنك أن تكلمي المالك وتعلمين النتيجة عبر
هيلين لكنني لن أساوم بل

ساقدم عرضا واحدا لا غير فإن رفضه لن أكلف نفسي
عناء مناقشة المسألة من جديد "

راحٌت كليٌّ تراقبه بهدوء ثم أومأت أخيراً فعرض سعراً
أقل بكثير مما تأمل عندئذ تحجرت عيناهما الزرقاء وان
وقالت بفتور :

"حسناً سأبلغ زبوني بعرضك لكنني أشك في أنه
سيوافق على هذا الثمن البخس"

"اخبريني منذ متى والمنزل معروض للبيع؟ منذ سنوات
عدة أليس كذلك إن المنازل الفارغة تنهاي بسرعة
لاسيما هذا.. وبعد سنتين سينهاي السقف فيما يكسر
الاولاد النوافذ ويغدو البستان برياً تماماً ولن يطول
الامر حتى تمسي أطلالاً ليس الا."

ومع انه محق رفضت كلير أن تقر بذلك وتمتنع

بصوت بارد وبعيد:

"أَكْلَمْ زُبُونِي"

واستدارت ونزلت السلام لتخرج من المنزل ودخلت
بالاًك يلحق بها.

في الخارج كانت العاصفة تزداد عنةً والريح تعوي كما
الذئب حول المنزل وفجأة دوى الرعد وتبعه برق قوي
شق السماء وراحت انوار الشريا تومض حتى انطفأت
اخيراً ليغرق المكان في ظلام دامس في ذلك الوقت
كانت كلير قد وصلت الى منتصف السلم المحفور
باتقان فتوقفت بفتحة وهي عاجزة عن الاهتداء الى
طريقها في هذه العتمة المفاجئة.

كان دنجل بالاك قد أصبح خلفها تماماً ولما وضع يده
على كتفها احسنت نفسها تطسر في الهواء.

" أَلَدِيكَ مُشْعَلٌ كَهْرَبَائِي؟ "

أَجَابَتْهُ وصُوتُهَا يَكَادُ لَا يُسْمَعُ :

" فِي السِّيَارَةِ "

فَتَنَاهَدَ :

" لَا تَقْلِقِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرِي فِي الظَّلَامِ أَعْطَنِي يَدَكَ " وانزلقت أنامله من كتفيها إلى ذراعها ومنها لتمسك بيدها ووردت كلير لو تسحبها بعيدا فهو يملأ تأثيرا غريبا عليها لكنها لم تحبل فكرة البقاء وحدها في العتمة. وكان عليها أن تسارع في الخروج من هنا لذا تركته يقودها على الدرجات.

حين عادا إلى السيارة وجدا هيلين واقفة قربها . ولما رأتهما ركضت نحوهما وتعلقت بدنزل بلاك بحالة اقرب إلى الهستيريا :

"لقد أنطفأت الانوار كلها ثم ومض برق رهيب ... ألم

تر ذلك؟ كانت العاصفة من القوة بحيث خفت أن
تقلب السيارة في طريقها ثم رأيت هذا البرق وانطفأت
الانوار فناديت وناديت .. ألم تسمعني؟ كيف يمكنك
أن تركني وحدي في الخارج في مثل هذا الظلام طيلة
هذا الوقت؟"

فهذا دنزل بلاك من روتها ورأسه محني فوقها :

"يجب ألا تغضبي بهذا الشكل فانا أسمع قلبك وهو
يختبط كالطبل!"

ثم أحني رأسه أكثر حتى ظنت كلير أنه عانقها
فأشاحت بنظرها سريعا وقد علا وجهها الأحمرار.
ليتذكرنا على الأقل أنها موجودة! وهي بالطبع لا ترغب
في أن تكون شاهدة غرامهما !

أطلقت هيلين تنهيدة طويلة توحى بإرهاقها ثم احاطته

بذراعيها وهمست :

" آه، دنزل .. "

فهدأها قائلاً:

" صه.. أنت بامان الان ، سنوصلك الانسه سامر الى منزلاها ، ثم آخذك الى البيت هيا عودي الى السيارة وستصبحين بحال أفضل ما إن يغمارك الدفء " أطاعتة هيلين بضعف ثم جلست في مقعدها من غير ان تصيف كلمة أخرى ولما عادت كلير بدورها الى السيارة لاحظت ان هيلين أغلقت عينيها وكأنها تكاد تغفو .

وفيما ابتعدوا عن "البحيرة السوداء" سألها دنزل بلاك

:

" أين تعيشين يا آنسة سامر؟ "

" بالقرب من المكتب في ساحة يورك لابد من أنك تعرفها .. إنها ساحة من العصر الجورجي بنيت خلف "تاون هيل"

" نعم أعرفها وهي تضم منازل جميلة جداً، تخضع لحماية جيدة أيضاً. وهل تعيش عائلتك هناك منذ زمن طويلاً؟ "

" لقد ولد والدي في هذا البيت ، وعشت فيه أنا طيلة حياتي ، إنه منزل مليء بالحنان.. ونحن نحبه. " ولكنك تنوين الانتقال ما إن تنتهي الإصلاحات في كوكوك ."

فشرحت له كلير رغمها عنها وهي تتساءل لم يطرح كل هذه الأسئلة :

" أفراد الأسرة كثيرون ، واود الحصول على مكان خاص بي. "

"ـ الديك العديد من الاخوة والاخوات؟ "

فردت:

"أخوان واخت وفي المنزل أربع غرف نوم فقط يشغل أي إحداها ويحتل أخي غرفتين أيضاً فروبن تلميذ ويحتاج إلى مكان خاص للدرس ولأخي الصغير جامي غرفة ضيقة. أما أنا وأختي فنشارك في غرفة. "

"كم عمرها؟"

فتحرت هيلين بامتعاض:

"كفى طرحا للأسئلة عليها يا منزل! تبدو وكأنك

مضيف في أحد البرامج التلفزيونية"

فقهه، ولكن كلير لاحظت أصابعه الطويلة تشتدد على المقود وظهر لون أبيض طفيف عند مفاصلة وشكك في أنه لم يعجب بالطريقة التي صدته فيها هيلين.

وقاد السيارة بصمت حتى بلغوا البلدة فراح يبحث
عن طريق يحيد منها عن الطريق العام . ولما وصلوا الى
ساحة يورك ظهرت أمامهم المنازل التي يعود معظمها
إلى أوائل القرن التاسع عشر . وفي وسط
الساحة انتشرت حدائق مشدبة بعنایه تحيطها شرشفات
من العصر الفكتوري مطلية حديثاً مما يضفي على
المكان طابعاً ريفياً لا سيما في الصيف حيث تزدان
الأشجار بكامل أوراقها وينتشر عبق الأزهار في الهواء .
وسألهَا دنزل بلانك : " أيها بيتك؟"
فتقدمت كلير لتشير إليه :
" هذا هو عند مصباح الشارع ذاك الذي تنمو نباتات
البهشية في حدائقته"
ركن السيارة عند مصباح الشارع فشكرته كلير بأدب
وودعته :

"سأعلم هيلين بقرار زبوني في أقرب وقت ممكن"

"..عمت مساءً هيلين"

فتمتمت هيلين بنعاس : "عمت مساءً"

وما كان من دنزل بلانك الا ان ترجل من سيارته

وتقدم ليفتح باب كلير.

فشكرته وهي تتجنب يده التي امتدت لتساعدها :

"شكراً ، عمت مساءً يا سيد بلاك "

و قبل أن تتمكن من الهروب انفتح باب بيتها الامامي

وكشف النور الاصفر في الرواق عن طيف فتاه ثم ظهر

وجه يكلله شعر فضي تميز خصلاته بالطول

والنعومة.

سألها وقد تبدل صوته :

"من هذه؟"

فرمته كلير بنظرة عابسة، ولم تجرب.

وامتد بينهما صمت طويلاً قبل أن تبدأ الفتاة بالتقدم نحوهما.

وكرر دنzel بلاك سؤاله ببطء:

"أهذه أختك؟"

فاضطرت إلى الإجابة بصوت فاتر :

"نعم"

في الواقع ، كانت تتمى لو أن لوسى لم تخرج في هذه اللحظة فهي تشعر نحوها بالحماية الشديدة . كما أنها تتمتع بحدس قوي وحدسها ينبئها الان بأن لقاء لوسى بدنzel بلاك لن تكون عاقبته حميدة . وقالت أخيراً املة

أن يرحل :

"عمت مسائِّيـد بلاك"

لـكـنـهـ لـمـ يـفـعـلـ بـلـ لـازـمـ مـكـانـهـ وـهـوـ يـرـاقـبـ لـوـسـيـ تـقـدـمـ
نـحـوـهـمـاـ بـبـطـءـ وـقـدـ اـرـتـسـمـ عـلـىـ وـجـهـهـ هـدـفـ مـعـيـنـ

. صـرـتـ كـلـيرـ عـلـىـ أـسـنـاـنـهـ وـهـيـ تـوـدـ أـنـ تـقـرـأـ اـفـكـارـهـ.

وـلـمـ وـصـلـتـ لـوـسـيـ إـلـىـ دـائـرـةـ الضـوءـ عـنـدـ الـبـوـابـةـ

، توـقـفـتـ ثـمـ اـرـتـسـمـتـ عـلـىـ وـجـهـهـاـ الـمـسـتـدـيرـ اـبـتسـامـةـ
أـضـفـتـ عـلـيـهـاـ الـاـشـرـاقـ . وـمـعـ اـنـهـ لـمـ تـكـنـ قـدـ تـرـجـتـ
إـلـاـ انـ بـشـرـتـهـاـ بـدـتـ نـاعـمـهـ صـافـيـةـ وـرـائـعـهـ. كـانـتـ بـشـرـتـهـاـ
تـمـاثـلـ بـشـرـةـ كـلـيرـ إـلـاـ أـنـ فـرـقـ بـيـنـهـمـاـ شـاسـعـ. وـلـاغـمـ أـنـ
كـلـيرـ كـانـتـ تـدـرـكـ أـنـ سـحـرـهـاـ يـجـذـبـ الرـجـالـ إـلـاـ أـنـ
لوـسـيـ تـعـتـبـرـ وـبـكـلـ بـسـاطـهـ جـمـيـلـةـ.

وـبـإـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ تـتـمـتـعـ لـوـسـيـ بـتـألـقـ غـامـضـ ، يـعـودـ
مـنـ جـهـةـ إـلـىـ بـشـرـتـهـاـ الـبـيـضـاءـ وـشـعـرـهـاـ الطـوـيلـ الـذـهـبـيـ
الـمـتـطاـيـرـ حـوـلـ وـجـهـهـاـ ، وـعـيـنـيـهـاـ الـلـتـيـنـ تـفـوقـانـ عـيـنـيـ كـلـيرـ

زرقة ومن جهة أخرى إلى طبيعتها التي تماثل طبيعة
الاطفال براءة.

وأحياناً يبدو لكثير أن لوسي لم تبلغ سن النضوج بعد
ربما لأن أسرتها أفرطت في تدليلها ومع ذلك لم يكن
هذا يهم لأنها مفعمة بالحب والحنان وكما أنها طيبة
القلب وكريمة وهذا كان القلق عليها غالباً ما يتمنى
كثير فماذا لو جرحتها رجل في يوم من الأيام؟ وهذا
غمراها شعور عظيم بالارتياح لما خطبت إلى شاب
عرفت كثير أنه لن يدخل الحزن أبداً إلى قلب اختها
الصغيرة.

وما إن بلغت لويس مرمرى سمعهما حتى هتفت :
"يالها من سيارة رائعة ! أنها من طراز اللمبورغيني . أليس
كذلك؟"

وأردفت بعد أن منحت دنزل نظرة ساحرة :

"اهي لك؟ مرحباً،انا لوسي اخت كلير نحن لم نتقابل
قبلأً صح؟"

فأجاب وقد لمعت حدقته السوداء وان:

"صدقيني كنت لا تذكر ذلك"

واخذ اليدي التي مدتها لوسي ثم انحنى ليطبع عليها قبلة
فأطلقت لهاثاً مفاجئاً قبل أن يضحكا معاً.

"انت لست فرنسي؟ أليس كذلك؟"

فضحك مجدداً وقال :

"جدي فرنسيه أ يؤخذ هذا في عين الاعتبار؟"

"بالطبع . لقد عرفت أنك تبدو فرنسياً"

عندها تنتهي:

"سأقضي الليل بأكماله هنا ، ان بدأت أصف كيف
تبدين"

فاحمرت وجنتا لوسي ثم قهقهت بحماس .

أما كلير فبدت غاضبة حتى أحسست بأسنانها تؤلمها

ومالبنت أن قالت لدنزل بلاك بصيق:

"هيلين في عجلة من أمرها أتذكر؟"

رمقها بنظرة جافة ثم أختلس النظر إلى داخل السيارة

وفي ذلك الوقت تقدمت هيلين إلى النافذة وطرقت

عليها بشدة وسرعان ما سمعها الجميع تنادي بنزق:

"دنزل!"

فلوح لها من بعيد ثم نظر إلى لوسي مبتسمًا وبريق

عينيه القاتتين لا يفارقهما.

"أخشى أنني مضطرب للذهاب وسأرحل إلى الولايات

المتحدة غداً لأمضي فيها شهرين لكنني سأعود

وحيث أنها سنتي مجددًا."

ومالبنت أن عاد إلى سيارته فأدار المركب ثم أنطلق مخلفاً

وراءه هدير ناعماً.

وتقىمت لوسي حاملاً:

"أرأيت هذه السيارة.. أليست رائعة؟ وهو.. ماذا قال اسمه؟ دنزل ماذا؟ هذا اسم غير مألوف. فأنا لم ألتقي أحداً بهذا الاسم من قبل اهو رفيقك الجديد يا كلير؟ لم تذكريه أمامي قط ! كيف تخفي السر عني؟ انه يماثل سيارته روعة. لم تقع عيناي على رجل مثله أبداً.

أين التقيت به. وماذا هو "

" مع هيلين شيرارد؟ أخبريني كل ما تعرفي عنه " هو ليس صديقي بل مجرد زبون وأنا بالكاف أعرفه. " حاولت كلير ألا تفقد أعصابها لكن صوتها بدا قاسياً مما دفع لوسي الى التحديق فيها بغرابة فمن غير المألوف أن تظهر كلير مثل هذا الانفعال وسرعان ما سألتها بارتياه:

"ما لا أمر؟"

فأجابت كلينر:

"إنسي ذلك ودعينا ندخل إلى البيت فاجو بارد"

وتقدمت إلى الامام وهي تسع الخطى.

في الواقع لم تعجبها قط الطريقة التي نظر بها دنزل بلاك إلى لوسي وكأنها واحدة من ممتلكاته ومع أنها بالكاد تعرف الرجل إلا أنها لم تعجب به أو تثق فيه إطلاقاً ورغم أملها في الحصول على حصتها من الارباح بعد إتمام الصفقة وبيع "البحيرة السوداء" إلا أنها تمنت أن يرفض المالك عرض دنزل بلاك عندئذ قد يرحل بعيداً ويعيش في مكان آخر فلا تضطر هي إلى القلق .

وهذا الفصل الثاني

- لن أكون ضحيته!

لكن المالك قبل عرض دنزل بلاك في الحال . ولما سمع

والد كلير هذه الأخبار هتف :

" سنتخلص أخيرا من هذ الملكية التي لا قيمة لها ! "

ثم رمى ابنته بنظرة لاذعة :

" لا يedo عليك السرور المفرط! أتظنين أن المشتري لن

يتمكن من الدفع؟ "

فأجابت بتهكم : " كلا "

ولم تكلف نفسها عناء الشرح بل توجهت الى الهاتف
لتلخابر هيلين شيرارد.

فردت هيلين بصوت خافت يفتقر الى الحيوية، هذا إذا
تجاهلنا فرحتها بالخبر :

"هذا رائع! سأشرف على إرسال العربون حالاً ثم أباشر
بالاجراءات".

" ألا يتضمن العرض وجود تقرير مسح أراض؟ "
وكان من الغريب فعلاً ألا يذكر دنzel بلاك كلمة عن
ضرورة إحضار ماسح أراضي ليلقى نظرة على المنزل.

"كلا لقد أكذ دنزل أنه سيشترىه مهما كانت حالته وعلى كل حال سيقوم بإجراء العديد من الإصلاحات وقد أخذ ذلك بعين الاعتبار في العرض الذي قدمه."

فتمتمت كلير : "لقد عقد صفقة راجحة فعلاً"

في الواقع كانت تتمى لو يبدي اعترافات عساها تقنع زبونها بالاحجام عن البيع مع أن ذلك سيتحقق بها الخسارة . إلا أنها لا تتصرف دوما على هذه الصورة الحمقاء .

"إن كان يدفع نقدا فلن يكون من الصعب إتمام الصفقة ."

فردت هيلين :

"أنا متأكدة من أننا لن نواجه صعوبات وسأقوم بمحاسبة الأرض بنفسي إثباتاً لسند الملكية "

وما إن أكملتها حتى تنهدت بصوت مسموع مما
دفع بكلير إلى القول :

" تبدين متعبة جداً يا هيلين .. أترهقين نفسك في
العمل؟ "

" ليس تماماً لكن العمل يصيبي بالملل ومهني كما
تعلمين ليست مثيرة إلى هذا الحد كما انتي افتقد دنزل
فمع أنه لم يسافر إلا منذ أيام قليلة إلا أنها تبدو لي
أشهراً . "

وفيما كانت كلير تصغي إليها راحت تعبت بالختام
الموجود فوق المكتب بعبوس :

" والى متى سيبقى في الخارج؟"
ـ آه سيتغيب شهرين على الأقل وهو يرجو أن يعود
في عيد الميلاد . لكن يبدو أنه غير متأكد من ذلك . "

فأجابت كلير بلا مبالاة :

"ياللأسف .. حسنا دعيني احصل على العربون
، وسائلك زبوني يتصل بـ حاميه أيضاً الى اللقاء يا هيلين

اتوقع أن أكلمك قريباً "

وبعد يومين تقريراً التقت هيلين في "هاي ستريت"

وصعقت لشحوب وجهها :

" لقد فقدت الكثير من الوزن يا هيلين أظن يجدر بك

زيارة طبيب! فلا بد أنك مريضة "

فهتفت هيلين بحدة :

" بالله عليك، لا داعي لكل هذا القلق فأنت تبدين

كامي ! "

فقهقحت كلير وسألتها بتندق:

" آسفة .. هل سر السيد بلاك بقبول عرضه؟ "

وهنا بدت ملامح هيلين أكثر حدة :

" نعم هل رأيت صورته في صحف الاحد؟ "

فأجابت كلير :

" أنا لا أطالعها أبداً في الواقع لا أملك القوة الالزمة

لاقوم بالي عمل صباح الاحد الا النوم حتى ساعة

متاخرة أكانت صورته في الصحف حقاً؟ "

" لقد نال جائزة أو ما شابه فنشرت صورة كبيرة له مع

نجمة الفيلم. وهي ممثلة بارعة مثلت في العديد من

المسرحيات في برودواي قبل أن تدخل مضمار

السينما وهي تتميز بشعر اسود ووجه ساحر. أظن أن

اسمها ديردر أو شيء من هذا القبيل وهي نصف

مكسيكية ونصف إيرلندية. "

فقالت كلير بعبوس :

" ياله من مزيج! ومع ذلك عرفت من تقصدين . أنها

لا تدعى ديردر بل بيلا . لقد شاهدت فيلمها الاخير

عن مصاصي الدماء، وهو لا يأس به ان اردت رأيي

لكن المشاهد الاباحية كادت تحرق الشريط

السينمائي الذي صورت عليه. "

ردت هيلين وهي تبتسم بشحوب :

"نعم هي من اقصد وهذا فيلم دنزل الاخير"

فاتسعت عينا كلير اندهاشاً:

"أنت تمزحين ! هو من اخرج هذا الفيلم؟ "

وسرعان ما انطبع في ذهنها فكرة جديدة عن دنزل

بلاك في لم تر مشاهد حميمية بهذه الحرارة من قبل.

ثم قالت هيلين بصوت أجش ووجهها سكاف يقارب لون

الورقة بياضاً:

"ومن خلال ما أكدته الصحف هذا الاحد فإن علاقة

تربيطه بتلك البيلا ! "

وما إن فرغت من كلامها حتى استدارت وابتعدت

وفجأة توقفت وإذا بها تترنح قبل أن تنها أرضًا. أما

كـلـير فـلم قـسـطـطـيع أـن تـمـكـها وـقـبـل أـن تـدـرـك ماـيـحـدـث

ماـلت هـيلـين جـانـبـاً وـصـدـمت رـأـسـها بـعـمـود كـهـرـبـائـيـ.

وـبـالـطـبع سـرـعـان مـاـتـجـمـع حـشـد مـن النـاس فـرـكـعـت كـلـير

بـجـانـبـها بـقـلـق وـهـي تـنـظـر إـلـى الـوـجـه الشـاحـب وـالـشـعـر

الـأـسـمـر الـأـحـمـر الـكـثـيفـ:

" هـيلـين؟ هـيلـين، هـل أـنـت بـخـيـر؟ "

وـصـدـح صـوت مـن الـحـشـد :

" لـقـد أـغـمـي عـلـيـها "

وـأـكـد صـوت آـخـرـ:

" لـقـد صـدـمت رـأـسـها وـرـأـيـتها تـفـعـل ذـلـك عـمـدـاً وـهـيـ

عـلـى الـأـرـجـح ثـمـلـة كـمـا بـدـا لـيـ "

" اـطـلـبـوا سـيـارـة إـسـعـاف فـعـلـيـنـا أـن نـقـلـهـا إـلـىـ

المـتـشـفـيـ. "

وـتـقـدـم بـائـع قـلـيـلاًـ:

"لقد فعلت ذلك وستصل السيارة بين لحظة و أخرى"

وبدأت أهدايا هيلين ترف وأخذت تطلق تنهيدات

من بين شفتين تماثلان وجهها بياضاً وتناهت إلى

مسامع كلير الكلمة التي تفوحت بها هيلين وكادت

تجزم أنها قالت : "دنزل..."

لم تعرف كلير هل تأسف لأجلها أم تغضب منها أو

ربما يجدر بها ان تغضب من دنzel بلاك وما لبست ان

فكرة وهي تنظر إلى المرأة الأخرى بكآبة ، ان اي

امرأه تصل الى هذا الحال بسبب رجل تستحق صفعه

قوية .

وسرعان ما وصلت سيارة الاسعاف ، وقد ارتفع صوت

صفارتها عندئذ تفرق الحشد ليفسحوا المجال

للمسعفين. ولما وصلوا إلى المصابة تفحصوها وسألوا :

"كذا جرى؟"

فارتفع لغط عظيم من الا صوات وما كان من كلير الان شقت طريقها عبر الناس ببرودة وفعالية وتولت

الشرح:

"لقد أصيّبت بإغماء وارتطم رأسها بهذا العمود

"الكهربائي فيما كانت تقع"

خدمت الا صوات وراح الجميع يحدق فيها. وبما أنها

معروفة في البلدة لم يحاول أحد أن يجادلها في هذا

المكان العام لكن تناهت إليها بعض التعليقات

الخامسة التي ردت حالة هيلين إلى الثمل.

ورافقت هيلين إلى المستشفى ثم اتصلت بوالدتها من

غرفة الانتظار:

"ستبقى في المستشفى هذه الليلة فالأطباء يريدون إجراء بعض الفحوصات ويحتمل أن تكون مصابة بفقر

الدم إذ يبدو أن الكريات الحمراء في دمها منخفضة
وكذلك ضغط دمها "

بدت أم هيلين مرتعبة وهي امرأه حساسة وتنفعل بسهولة وكان يخيل لكثير أحيانا أنها مازالت تبكي زوجها الذي توفي منذ حوالي السنطين. ولهذا تراها في معظم الأحيان ترتدي ملابس سوداء أو رمادية والدموع لا تفارق عينيها .

" آه، لا، أتظنين...؟ أيظنون أنها..؟ كما تعلمين ، توفي والدها متأثراً بداء السرطان...."

ثم توقفت عن الكلام وقد غلت بها الدموع :

" كلير إذا أصاب هيلين مكروه في الواقع.. أنا شديدة القلق عليها ففي الاونه الأخيرة كانت شديدة الشحوب ولا حيوية فيها إطلاقاً. وهذا ماحدث لأبيها. لطالما كان الروح التي تنبض في المكان ، وتبعث

الحيوية فيه على أي حال انت يا كلير تذكرين حالها
قبل الطلاق ! أعرف انكما لم تكونا صديقتين مقربتين
غير أنك عرفت هيلين منذ سنوات وتعارفين أنها انسانه
مرحه لكنها بدأت تذبل في الشهرين الماضيين ولم
يستطيع الطبيب أن يت肯 ما بها "
ومضت في عيني كلير الزرقاوين شرارة جلدية فهى
تعرف تمام المعرفة ماذا حدث لهيلين مؤخراً وتعلم أيضاً
أن ما من طبيب يمكن أن يداوي جرحها وسرعان ما
سالت جويس :
"هلا اتصلت ببول وأعلمنته بمرضها؟"
"بول؟ أظنين أنه يجدر بي إعلامه؟ فعلى أي حال
لقد تطلقا وأعتقد انه التقى امراة اخرى الان."
لكنهما كانا متزوجين لفترة طويلة ، وأنا متأكدة من
أنه سيقلق بشأنها."

فتعلت جويس:

"آه .. كلير، أنا .. كلير، هلا فعلت؟ سيكون من الأسهل لو اتصلت به أنت. أعني لا احب أن اتدخل .. فهيلين لن تسر بذلك وقد تغضب مني حتى.."

فتنهدت كلير:

"لكني بالكاد أعرفه يا جويس!"

"أرجوك كلير هلا اتصلت به؟."

استسلمت كلير وقد تجم وجهها ثم اتصلت ببول شرارد في فندقة، فأجابتها سكريترية بلهاث وقد بدت

شابة مغناج:

"مكتب الاستاذ شيرارد آه الانسة سامر؟ هل الامر ضروري؟ في الواقع لا أعرف إن كان .. سأتحقق إن كان متفرغاً."

وبعد برهة ارتفع صوت بول :

" صباح الخير يا كلير ، كيف حالك؟ "

" بخير بول لكنني اتصل من المستشفى حيث ستبقى هيلين حتى صباح الغد . وقد يكون مرضها خطيراً فالأطباء غير متأكدين بعد .. واعتقدت أنه يجدر بي أخبارك .

فأجاب بجهاء :

" ماذا تعنين بأن مرضها خطير ؟ ما بالها؟ "

" ليست لدي أدنى فكرة يا بول لكن حالتها تبدو رهيبة وفكرت فقط في أن أخبرك . كانت أمها في غاية القلق لما أخبرتها كم اتمنى أن يصارحني الأطباء هنا بالحقيقة لكنهم لم يورطوا أنفسهم بتشخيص . " " الن يفعلو؟ سنرى بشأن ذلك . سأكون عندك في غضون نصف ساعه . "

وما إن انهى كلامه حتىأغلق السماعة .

في ذلك الوقت ، انتظرت كلير في المستشفى حتى
وصل بول ووالدة هيلين في الوقت نفسه تقريباً ومن ثم
توجهت الى المكتب المقفل منذ الصباح.

لاحقاً اتصلت بالمستشفى تسأل عن حال هيلين
، لكنها لم تتلق أي مستجدات باستثناء أن الخطر قد
زال عن المريضة التي استعادتوعيها، وستلازم
غرفتها لأيام عدة . فأرسلت لها كلير باقة أزهار مرفقة
ببطاقة تمنى لها فيها الشفاء العاجل . وفي عصر اليوم
التالي زارتها فوجدتها تستند الى وسائل مكدسة وهي
ماتزال شاحبة فاترة الهمة . ومالبث أن تتم :

"يقول الأطباء ان بوسعني مغادرة المستشفى في نهاية
وبعد ان اجرروا الفحوصات شخصوا أنني مصابة بفقر

"الدم"

: ثم أردفت ضاحكة :

"سأضطر الى شرب الدماء كما دراكولا "

لكن كلير لم تضحك فقد راعها منظر هيلين من
الظلال السوداء تحت عينيها الى أناملها الضعيفة
واظافرها المتكسرة . لكن حمدًا لله أن المرض لا يتعذر
فقر الدم مما سيزيل حملًا ثقيلاً عن كاهل السيدة
ستور . الا ان كلير لم تنس نظرة الألم في عيني هيلين
وهي تتحدث عن دنزل بلاك ومثلته المثيرة .

وعرفت أن هذا الرجل سبب المشاكل ، ومالبثت أن

قالت كاذبة : "تبدين بحال افضل"

فأشرقت أسارير هيلين وقالت :

"أتعتقدين ذلك؟ وفقاً للاطباء، لا يجدر بي أن أعود
للعمل ، بل علي أن أرتاح لأسابيع عدة لذلك فكرت
في أن ألازم منزل أخي لكن بول ينصحني بالسفر بعد

الميلاد وبما أنه مسافر الى مايوركا الى الشقة التي

"نملكتها هناك فقد اقترح علي مرافقته "

وعلا احمرار طفيف وجنتيها ثم نظرت الى كلير بتحد

قبل ان تشيح بوجهها بعيدا وأردفت :

"في الواقع كنا متزوجين لسنوات ولن يجد احد الامر

"غريباً "

فأجابت كلير :

" بالطبع لا . وأظنها فكرة رائعة "

ثم منحت هيلين ابتسامة دافئة وفكرت في ان بول لو

اصطحبها بعيدا ستنسى دنزل بلاك وقد تفكر في

الارتباط مجدداً بزوجها والى الابد وليس أثناء عطلة

. الميلاد فقط.

ثم قالت هيلين وقد ازدادت توردها :

" طآه وبالمناسبة جوني برقشارد هو من يتولى مسألة "

البحيرة السوداء "الآن "

فردت كلين بهدوء :

" لست قلقة بشأن هذا . فما زال أمامنا وقت "

عندئذ هتفت هيلين وقد أصيّبت بصدمة:

" آه ، لا ، فدنزل على عجلة من أمره "

" دعك منه الان وانتبهي الى نفسك وحسب وعلى

مدى الاسابيع التالية انشغلت كلين بما يفوق العادة

وبعد هذا غير مألف فالناس لا يقبلون على شراء

المنازل في الشتاء"

لكن كلين شهدت شتاءً حافلاً بالأعمال هذه المرة

فقد قامت شركة بناء بنايات ضخمة تضم شققاً

فخمة تطل على الميناء ولما عجزت عن بيع معظمها

لجأت إلى تأجيرها عوض أن تتركها خالية فكلفت كلين

بالعثور على مستأجرين مما دفعها الى قضاء الوقت
برفقة أي زبون مهتم بالأمر في جولات حول المكان
واتفاقات حول الإيجار . وبما أنها أمضت معظم الوقت
خارج المكتب فقد عاد والدها لي ساعدها قليلاً لكن
ورغم ذلك يبقى عليها إعداد العديد من التقارير .
وفي أحدى امسيات شهر تشرين الثاني كانت تجلس
إلى مكتبها منكبة على العمل في وقت أغلقت فيه كل
المتاجر الأخرى ، حين رن جرس الهاتف فجأة .

فأجابت بتأفف : " آلو؟ "

" تبدين حادة الطباع . "

أحسست بتيار كهربائي يسري فيها لكنها ظهرت بأنها
لم تعرف صاحب الصوت وأجابت ببرودة :
" من المتكلم؟ "

فضحك حتى على الأحرار في خديها ثم قال :

"اسمعي سأرسل فريقا من الرجال الى "البحيرة السوداء"

وسيقدمون لي توصيات تتعلق بكيفية تحديد المكان من

دون القضاء على روحه القديمة فهلا أرسلت لهم

المفاتيح اليوم؟ مهندسي هو برنارد آتكنر وسيحصل

بك هذا الاسبوع "

" حسنا لكن لايمكنك أن تحدث أي تغيير في المنزل

" قبل ان تمتلكه فعلا.

" أعلم ذلك وكم تحتاجين من الوقت قبل أن يصبح

" العقد جاهزاً للتوقيع؟ "

" سيحتاج هذا لاسبوع أو اثنين . "

ثم توقفت قليلا قبل ان تجيب بصوت اكثرا برودة من

ذي قبل :

" اتوقع انك عرفت بمرض هيلين؟ "

"نعم لقد تلقيت منها رسالة تفسير وان عدت قبل ان

ترحل الى مايوركا فأتفقدها حتماً "

فسارعت تجيب :

"لن أفعل ذلك لو كنت مكانك فهي تحتاج الى

الراحة الكاملة ولا يمكنها أن تستقبل زواراً "

عندما تغير صوته وأضحي ناعماً حتى اقشعر بدن

كثير:

"لكنها سترغب برؤيتها "

عشت على شفتيها وردة:

"قد ترغبه في ذلك لكن لن يكون ذلك لصالحها "

فأردف وقد زداد صوته نعومه :

"أنت لا تحبييني كثيراً أليس كذلك يا آنيه سامر؟ "

"أنا لا أعرفك لدرجة تسمح لي بتكونين ولو رأي

بسقط عنك "

فتمتم:

" حين أعود سأحرص على أن نغير ذلك "

فما كان منها إلا أن هتفت :

" علي أن أنهي المكالمة ياسيد بلاك. فأخشى أنني

مشغولة جداً لكنني سأتأكد من حصول المهندس على

المفاتيح مع السلامه "

وبسرعه أغلقت كلير السماعة قبل ان يضيف كلمة

اخري ثم بقية تحدق في الشارع المظلم الخالي ونبضها

يتحقق في حنجرتها بشدة وضعفت يدها على عنقها

بعصبية، ولما ضغطت على بشرتها أحست بالدم

يتجمع تحت ضغط أناملها.

ومالبثت ان أخفضت يدها وهي تذكر نفسها بغضب

أنه من الضروري ألا ينال منها هذا الرجل لاسيما أنه

الآن في الناحية الاخرى من المحيط الاطلسي وسيبقى

هناك ملدة طويلة كما ترجو لكن. في حال عاد فلا نية لها بتعزيز أو اصر المعرفة بينهما ابداً.

وبعد مضي ساعه عادت الى البيت ولم تفاجأ إذ وجدت أن أحدا لم يقم بإعداد الطعام بعد وقد جرت العادة أن توزع الأدوار بين أفراد العائلة لكن مع الوقت صارت كلير تعدد لسبب أو لآخر فوالد كلير يتケفل بشراء الحاجيات إلا انه لا يهوى الطبخ ولا يعد الى ذلك طاهياً ماهراً وكذلك هي الحال بالنسبة للباقين ولطالما اعتقاد روبن وجايبي ان الطبخ من مهمة الفتيات أما لوسي فتملك نية تحضير الطعام دائمآ الا أنها غالباً ماتسافر مع أحلام اليقظة وتنسى الامر لم تكن لوسي في المنزل ذلك المساء بل ووصلت منتصف العشاء ثم هتفت بسعادة وهي تجلس في مقعدها المعتاد وتملاً طبقها من وسط المائدة :

"آه رائع! سجق وبصل"

فأنبها والدها :

"كان من المفترض أن تredi الطعام هذا المساء يا

"لوسي!"

بدأت لوسي تئن :

"آه لا .. عرفت أنني نسيت أمراً ما .. من طبخ إذاً"

فتسائل والدها بسخرية وهو يرميها بنظرة اتهامية:

"ومن تظنين؟"

"أنا آسفة يا كلين لقد نسيت حقاً! بل غاب عن ذهني

تماماً! سأذهب عنك ما ان يحين دورك ثانية فمتي يقع

"هذا؟"

"غداً"

"حسناً لن أنسى"

ثم نظرت الى صحنها وأردفت :

"لم أتلق أي رسالة من مايكاليوم أيضاً وها قد مضت عشرة أيام على رسالته الأخيرة ارجو ألا يكون مريضاً"

فسارعـت كلـير تجـيب وهـي تراقب أختـها بـقلق :

"بل لـعلـها مشـاكل البرـيد"

كـانـت لوـسي رـقـيقـة وـحـسـاسـة وـنـجـح بـسـهـولة لـذـلـك
تنـفـست الـأـسـرـة الصـعـدـاء عـنـدـمـا التـقـت بـماـيـك دـانـ肯
قـبـيل سـنـة فـيـمـا كـانـت لـاتـزال فـي الجـامـعـة أـمـا ماـيـك فـكـان
يـتـابـع درـاسـات عـلـيـا فـي الجـامـعـه نـفـسـها وـيـعـد أـطـرـوـحـته
فيـها وـهـو يـكـبـرـها بـأـرـبـع سـنـين ، وـقـد اـكتـسـب خـبـرـة فـي
عـمـلـه قـبـيل أـن يـبـدـأ بـإـعـدـاد الـأـطـرـوـحـه . وـسـرعـان مـاـأـحـبـته
الـأـسـرـة بـكـامـلـها وـسـرت مـا خـطـبـت لوـسي الـيـة فـهـو
شـاب هـادـيـء وـمـثـابـر وـمحـبـ . لـكـنه مـالـبـث أـن تـلـقـى
عـرـضـاً لـلـعـمل فـي اـفـرـيـقيـا لـسـنـه وـاحـدـة كـأـسـتـاذـ في دـارـ

المعلمين هناك . فأصر على تأجيل الزواج حتى عودته ، وافقت العائلة بـأكملها مجدداً مع ان كلير ظلت تشك في دوافعه من حين الى آخر . ومع ان لوسي ما زالت شابة والسنـه سرعان ماتنقضـي ، الا ان كلـير أدركت أن غياب مايلـك بـات يـقض مضـجـع أختـها . مضـى على سـفرـه ستـة أـشـهـرـ وـمـنـ الـمـفـتـرـضـ أـنـ يـعـودـ فيـ الرـبـيعـ اـسـتـعـدـاـدـاـ لـلـزـواـجـ . وـخـلـالـ هـذـهـ المـدـهـ واـظـبـ عـلـىـ بـعـثـ الرـسـائـلـ الـخـطـيـةـ وـالـتـسـجـيـلـيـةـ أـيـضاـ لـكـنـ الـأـورـاقـ لاـ تـمـاثـلـ وـجـودـهـ إـلـىـ جـانـبـهـاـ لـذـلـكـ أـحـسـتـ لوـسيـ بـالـوـحدـةـ وـالـمـلـلـ غالـباـ .

وما لـبـثـتـ أـنـ تـمـتـ وـهـيـ تـصـنـعـ ضـحـكـةـ لـمـ يـصـدـقـهاـ

أـحـدـ :

" لا بـاسـ مـاـ دـامـ لـاـ يـقـابـلـ فـتـاةـ أـخـرىـ ! "

فتبادرت كلير ووالدها النظارات لكن أياً منها لم يتفوه بكلمة ومع ذلك تكينا بما يشغل بال كل منها فماذا لو صحت مخاوف لوسي؟ وأنباهما الارتفاع في شفتيها بـ لحر ح العظيم الذي قد يحدثه فيها ذلك. وهتف

جامي وهو لا يبالي إلا بنفسه :

" هل لي بحلوى الشوكولا؟ بامناسبة ، اقلت لكم ماذا أريد كهدية للميلاد؟ لذا أعددت لائحة ، توفر

لوقتكم ولمساعدتكم "

" لا تأتي على ذكر الميلاد حتى. "

ومالبثت كلير أن اطلقت تنحية عالية وهي تتذكر كل العمل الذي يستوجبه موسم الأعياد عليها ان تعد لائحة بعهاتها ولكن في الوقت الحالي أرادت أن ترجئ فكرة الميلاد حتى تعتمد عليها.

ثم أمر جورج سامر ابنه الأصغر :

"كُلَّ الْحَلْوَى ثُمَّ سَاعَدَ فِي تَنْظِيفِ الْمَادَةِ"

وراحت كلير تراقب جايسي يضيف حصة جديدة من الشوكولا ، وذهنها غائب عنه كلياً في الحقيقة كانت تفكير في منزل بلاك.. سيطلب منه تجديد "البحيرة السوداء" أشهرأ عديدة فهل سيقيم في أمريكا في غضون ذلك ؟ لا بد انه تلقى عروض عمل عده بعد نيله تلك الجائزة . وهي تذكر أنه غادر أمريكا لأن أحداً لم يكلفه بفيلم جديد . فماذا لو تغير ذلك الان ؟ حينها لن يضطر الى الانتقال الى هنا مجدداً ولعله سيبيع المنزل ما إن يجددة.

أحسست بنبضها يشب مجدداً ، فشعرت بالانزعاج وغضبت شفتيها . بما أنها غير معجبة بالرجل ، لم تراها تحفل به؟ وسرعان ما ظهرت بوادر كانون الاول فهبت رياح ثلجية من البحر إلى البلدة ، فاكتست هذه منظراً

رماديًّا كثيًّاً وقد وقعت أسيرة سماء تكدرت فيها غيوم سوداء تباء بالمزيد من الثلج. وأخيرًا تلقت لوسي أخبارًا من مايك . فوصلتها ثلاث رسائل دفعه واحدة بعد أن تأخرت في بريد أفريقيا كالعادة في ذلك الوقت من السنة .

وفيما غمر الحماس والارتياح قلب لوسي ، ظلت كلير على قلقها فتقليبات مزاج اختها الجامح تزعجها ، لأنها تدل على سرعة تأثيرها . وعانت كلير لو أن مايك يعود إلى الوطن في وقت مبكر.

ومن بداية هذا الشهر ، أصبحت "البحيرة السوداء" ملكاً لدنزل بلاك مما خلق هياجاً في صحف لندن وشبكات التلفزة المحلية . وانطلاقاً من ذلك ، اجتاح فرق تصوير وكالة كلير ، وحاول أن يقابلها ، لكنها طلبت منهم المغادرة ، بمنتهى البرودة ورفضت الاجابة

عن أسئلتهم ورغم ذلك أذيع خبر عن الموضوع على التلفاز في ذلك المساء.

"لم لم تقابلهم؟ فمن الروعة أن نراك على شاشة التلفاز!"

فأجابت وقد رأت موافقة أبيها وامتناع أخيها :
"هذا يعد من آداب المهنة . فلا يجدر بي أن أتحدث

"عن زبائني"

واستطاعت كلير أن تودع قسماً هاماً من أرباحها في المصرف . في الواقع ، كانت أرباح الوكالة هذه السنة أوفر مما توقعت ، وبدت في الحالة المادية جيدة جداً فقالت لأبيها :

"أظننا نستطيع أن نوظف أحداً ليساعدني في المكتب على الأقل بدوام جزئي"
وافق أبوها قائلاً:

"وحينها ترتاحين من العمل في المناسبات ، فأنا أكره أن
اراك متبعة بهذا الشكل".

هذت كتفيها بلا مبالغة وأجابت : "أنا بخير".

"لا اريد أن ينتهي بك المطاف كالمسكينه هيلين
شيرارد. "

فأجابت وعيناها الزرقاوان تنما عن غضب عميق :
"لن يحدث ذلك فلا تقلق "

في الحقيقة ، يدفعها تعقلها الى الاحتراس من أي رجل
ومنعه من إخضاعها لهذه التجربة ، لاسيما إن كان
رجالاً كدنزل بلاك.

في وقت لاحق من الأسبوع ، وقعت على مقال في
الصحيفة عن النجمة التي مثلت في فيلم دنزل بلاك
الأخير . كانت الصورة تبينها على نقالة ، في عيادة في
لوس أنجلوس ، وقيل إنها تناولت جرعة مفرطة من

الهيروين، حتى شارفت على الموت . ونقاً عن "صديق مقرب" تبدلت حالة الممثلة منذ انتهائها من تصوير فيلم دنزل بلاك.

وأضاف الصديق:

" لا يعود السبب الى المخدرات بل الى الحب فلم يرها كثيراً خلال الأشهر المنصرمة أما هو فقد أنهى الفيلم وأنهى معه علاقتهما مما جرح قلبها "

حدقت كلير في الصورة المبهمة ، وتراءى لها التعبير المأساوي على وجه الممثلة ، وفي عينيها السوداويين الشبيهتين بالأشباح ألم تبد هيلين على هذه الصورة مؤخراً؟ ترى ماذا يفعل هذا الرجل في النساء اللواتي يغرمن به؟

وفي عطلة نهاية الأسبوع ، استأجرت كلير الفيلم من متجر الأفلام المحلي ، وشاهدته مرات عدة . سحرها

الفيلم نفسه وجمال الممثلة ، وكان عليها أن تقر بمهارة دنزل في الالخاراج ، فالتصوير جميل ، بل ساحر ومختلف عن اي فيلم شاهدته من قبل . أما المشاهد الحميمية ، فقد صورت برقه زادت جوها الحميمي . وقبل أن تخلد للنوم ، استلقت على السرير في الظلام وهي تفكك في الفيلم وفي دنزل بلاك . ولما شاهدت الفيلم ثانية ، استنتجت أنه رجل ذكي ومعقد وخطير . وحين أرجعت الشريط الى صاحب المتجر ، سأله إن كان يملك أفلاماً أخرى لدنزل بلاك ، فسلمها شريطاً قبضت الليلة التالية في مشاهدته ، مرات عده أيضاً . وبعد ذلك شاهدت كل افلامه في سلسلة سريعة ، وهي تحاول أن تكتشف شخصيته من خلال أسلوبه في الالخاراج . وهي المرة الأولى التي تولي فيها مخرجاً كل هذا الاهتمام ، أو تحاول سبر أغواره من خلال نوعية

العمل الذي يقدمه وأدركت أن في أفلامه أدلة موزعه هنا وهناك.

وفي عشية الميلاد ، أغلقت الوكالة مبكراً أي ما ان تجاوزت الساعه الربعه بقليل . ثم شقت طريقها في الشوارع المكتظة بالمارة وراحت تسرق اللحظات الأخيرة بحثاً عن هدايا الميلاد.

راحت تحدق في واجهة أحد محل الملابس الداخلية الغالية الثمن ، حين أحست بشخص يتوقف وراءها ورفعت نظرها بشكل غريزي الى الواجهة الزجاجية لتشاهد صورة الغريب ، لكنها لم تر أحد . وإذا بصوت يرتفع من وراءها :

"مرحباً"

تصلبت ونظرت خلفها ، ولما عرفت ذلك الوجه سرت في جسمها قصيرة باردة . وكيف لها ألا تتعرف

إلى ذلك الشعر الأسود الناعم الذي يتدلّى حتى
الصدغ ، وهاتين العينين الرماديتين الشاقبيتين الناظر وهذا
الفم القاسي.

وبقيت لثانيه عاجزة عن الحركة لا بل مشلولة وكأنها في
كابوس تواجهه خطاً تعجز الكلمات عن التعبير عنه ،
وقد جمدتها رعب كلي . وقفت تتفرس في هاتين العينين
وهي تشعر أن قوة الارادة فيهما تكاد تحرقها.

وأسأها بذلك الصوت الغامض العميق:

" لم تنسيني ، أليس كذلك ؟ "

في تلك اللحظة تنبّهت لو تستطيع أن تميّز برأسها
وتجيّبه أنها نسيته . لكنها لن تكون الا كذبة تعرف تمام
المعرفة أنه لن يصدقها.

على أي حال لم ينتظر أي اجابة بل تابع بهدوء :

" ماذا ستشتررين؟ القميص الابيض المحتشم أم ثوب النوم الفيكتوري الفضفاض الذي يزرر من الرقبة حتى القدمين ؟ فقد رأيتكم تنظرین إلیهما . لماذا لا يدفعكم الحماس مرة الى شراء ثوب مثير كهذا الثرب الاسود ؟ فباستطاعتي أن أتصورك فيه "

ثم ابتسم ابتسامه ساخرة عريضة زادتها ضيقاً وأحسست بلون حارق يجتاح محياتها.

طرفت عيناهما ، وحاولت ا، تخلص من السحر الذي يطوقها فيما خفقات قلبها تزداد سرعة وأنفاسها اضطراباً. وسرعان ما أحسست وكأنها تستيقظ من سبات شتوي وبدا لها أن أعضاء جسدها كاملة أخذت تعمل تدريجياً بعدها توقفت مدة قصيرة .

وغمراها شعور قوي بالدوار ، جعلها تستشيط غضباً

فردت عليه بحدة :

" لا أتسوق لنفسي ، بل أبتاع هدايا الميلاد ! "

لم تكن تثق أن باستطاعتها المحافظة على أدبها طيلة فترة حوارهما . ولذا كان عليها أن تبتعد عن التأثير الطاغي الذي يتملّكها ما إن تقترب منه . وهكذا فعلت حتى كادت تصطدم بباب المتجر . فتبّعها بدوره ، ورجله الطويلتان تسمحان له بمجاراً لها من دون عجلة . ثم أضاف :

" لأختك الصغيرة الجميلة؟ "

ولما سمعت أنه مازال يذكر لوسي تملّكها الأسف . وادركت باشمئزاز أن عليها أن تحول دون لقائه أختها مجدداً . فآخر ماتريده هو أن يلحق الأذى بها لا سيما أنها مازالت حساسة في الوقت الحالي . وقد يطيح هذا الرجل بعقلها ويجرحها كثيراً تماماً كما فعل بهيلين

والنجمة السينمائية . لكن كلير مستعدة لقتله إن هو
أقدم على إيذًا اختها.

توقفت عندباب المتجر وسالته:

"أنت لا تعيش في "البحيرة السوداء" أليس كذلك ؟
فقد سمعت أن البنائين باشروا عملهم قبل رأس السنة.

"

فأجاب بجفاء :

" معلوماتك دقيقة جداً من المدهش كم تنتشر
الاشاعات في بلدة صغيرة . وبالحدث عن الاشاعات
، أود ان اشكرك لأنك رفضت التحدث الى الصحافة

"

" لقد أخبرني أحد الصحافيين ويبدو أن اهتماماتهم قد
خبت الان . ولكن ، في حال تعطشاوا الى المزيد من
المعلومات مجدداً سأكون شاكراً لو حافظت على

تكتمك . ففي الاشهر القليلة المقبلة سأكون مكبًا
على أعمالي ولا أريد أن أضيع الوقت مع وسائل
الاعلام "

أومأت ببرودة وقالت:

" أفهم ذلك إنما أستنتاج أنك تلجأ إليها حين تخدمك
"

فاحتدت في عينيه نقطتين سوداويتين وأجاب :

" نعم، فهي شر لا بد منه "

" وبالحديث عن هذا عرفت من الصحافة أنك فزت
بجائزة عن فيلمك الاخير . "

كانت تنظر الى الاسفل في أثناء حديثها لكنها ظلت
ترافقه من خلال أهدابها وأردفت:
" أهنتك "

فراقبها هو الآخر وقد ضاقت عيناه وعلت السخرية

محياه وقال:

"شكراً"

وازدادت كلير جرأة في كلامها :

"من المؤسف أن نجحتك باتت متوعكه منذ انتهاء

الفيلم !"

واذا بها تلاحظ ملامح وجهه تشتد وفمه يقسو فيما

عيناه الرماديتان يكسوها الجليد وماليشت أن أشاح

بوجهه بعيداً.

"من حسن حظي أنني رأيتكم. فقد مررت بمكتبكم

منذ قليل، أملأاً أن تعثري لي على مكان أقيم فيه لستة

أشهر أو سنة، بانتظار أن يجهز المنزل. تكفيوني شقة

، او حتى كوخ صغير."

فردت كلير باستمتاع:

" أخشى ان ما من مكان مناسب في سجلاتي في الوقت الحالي . لم لاتبحث على طول الشاطيء ، أو ربما

في نواحي يورك؟ "

فرماها بنظرة قاسية وقال:

" أحتاج الى السكن بالقرب من "البحيرة السوداء"

طالما أن اعمال التجديد تجري هناك "

عندئذ ابتسمت كلير ببرودة وأجابت:

" حسناً، إذا صادفت اي مكان فسأعلمك . هل تقيم

في فندق جيمي ستور مجدداً "

ومضت عيناه:

" كلا ، اذا يبدو ان لا غرف شاغرة فيه . ففي الوقت

الحالي ، تقيم هيلين هناك ، ومامن غرف اضافية . لكنني

اقيم هنا في البلدة. "

بالكاد يعد هذا مفاجئاً لاسيما بعدها سببه لهيلين!

فقالت والبرودة البارعة نفسها في صوتها ووجهها:

"انا متأكدة من انك ستكون مرتاحاً تماماً هناك ، والآن

على أن أذهب إلى اللقاء "

وفيما هي تستعد للذهاب ، تناهى إليها صوت لوسي

، فأحسست بقلبها يقع كالحجر :

" كلير ، انتظري دقيقة ، كلير ..."

نظرت حولها وهي تعصف شفتها ، واذا بلوسي تعبر الشارع ، وهي تتفادى السيارات بأبواقها الصاخبة ، وتلتف حول حافلة ، راح ساقها يزعق فيها بغضب .

ولما وصلت أخيراً ، قالت بلهاث :

"انا محظوظة ... لأنني لمحتك ... أيمكنك أن تقرضيني عشرة جنيهات ؟ لقد نفذت النقود مني ، ودفتر شيكاتي

ليس بحوزتي ، لكنني سأحرر لك شيئاً ، ما إن نعود الى

"المنزل"

"حسناً"

وراحت كلير تبحث في سرعه في حقيبتها ، حتى
وقعت على العملة المناسبة.

—"ليك المال."

وان كانت تأمل من السرعه أن تحول دون لقاء لوسي
بدنزل بلاك ، فقد خاب املها . اذ رمقته لوسي بنظرة
مهذبة ، ثم عادت وتفرست فيه . وفجأة علا التورد
وجنتيها :

"أنت السيد بلاك ، اليس كذلك؟ مرحباً صرت أقرأ
عنك في الصحف بعد لقائنا في المرة الماضية. ولا
أصدق أنني لم اتعرف اليك حينها. لكن فكرة تواجد

خرج مشهور في غرينهاوي لاتصدق. فلم يخطر الأمر

في بالي ، كما أن كلير لم تتفوه بكلمة واحدة "

فتمت وقد لوى فمه بسخرية:

" أختك امرأة كتومة جداً "

ثم رمّقها بنظرة جانبية تعمدت تجاهلها وأضاف:

" وانا لا اود أن أثير اهتمام وسائل الاعلام في الوقت

"الحالي"

" لا طبعاً. وافهمك جيداً. "

وسالته بحماس :

" انت لا تعيش في "البحيرة السوداء" بعد، اليس

" كذلك؟ "

فأجابها:

" كلا، لكنني أبحث عن مكان أقيم فيه بصورة مؤقتة في

البلدة . فان كنت تعرفين مكاناً.. "

" في البلدة؟ "

وحاولت لوسي بجهد أن تفكر في أي اقتراح ، ثم

أردفت:

" أقصد منزلاً؟ لا تستطيع كلين أن تعثر على منزل؟ "

"

فرد:

" كلا، للأسف "

وسرعان مالتمعت عينا لوسي وقالت:

" وجدتها! لي صديقة تملك منزلاً، ووقد أحالته شققاً.

وقد تكون إحداها جاهزة للإيجار في الوقت

الحالي. اتريدني ان أسألها ان كانت مستعدة لاستقبالك؟

"

ولما تأملته كلين، لاحظت انه لا يبدو متحمساً للفكرة.

وسألها ببطء:

"هل هذه الشقة مستقلة؟ اعني ، الكل منها بابها
الأمامي؟ "

"نعم ، وفي الواقع ، ليست الشقة كبيرة. بل تضم
غرفة واسعة وحماماً صغيراً. "

ثم ابتسمت ابتسامه مشرقه واضافت :

"ولكن في حال توافرت ، لن يضرك أن تلقي النظر
عليها ،اليس كذلك؟ "

فضحك واجاب لوسى:

" صحيح "

واجالت لوسى بصرها في الشارع العام:

"ترى ، اين احد الهاتف الاقرب؟ قد اقع على واحد في
مكتب البريد. سأتصل بجيني ، وان كانت الشقة شاغرة
، سأصطحبك اليها الان ، لتفحص المكان . انتظري
هنا ، فلن أتأخر. "

ولما اندفعت الى مكتب البريد ، قالت كلير بغضب:
" لا اظنها فكرة جيدة . فهذا النوع من التسويات
محفوظ دائمًا بالمشاكل . "

فتتمم :

" أافقك الرأي ، لكنني لا أريد ان اقضي الاشهر
المقبلة في فندق . وان لم يكن لديك حل أفضل ، فقد
اجدني مضطراً الى قبول عرض اختك . وبالمناسبة . هي
تدخل البهجة الى القلب ، بالإضافة الى أنها جميلة .
أحب وجنتيها ، وذلك الفم الممتلئ الواسع ، واحب
جماهما المليء بالحيوية والنابض بالحياة . "

وما كان من كلير الا ان عضت شفتها السفلية ، وقد
غمرها فجأة شعور بالخوف على لوسى . فهي لا تريد
أن تماطل نهايتها نهاية هيلين ، وتلك الممثلة المكسيكية

الايرلنديه، فتمسي شاحبة ، وتفتقر للحيوية، فيما
حياتها حطام بحطام.

وتقنمت ببطء :

" بالطبع ، مازال أمامك كوخى "

فحدق فيها وهو يرفع حاجبيه:

" ماذا؟ ذلك الذي لاسقف له؟ "

" لقد اصلاحت السقف منذ اسابيع خلت. في الواقع،

انتهى معظم العمل الاساسي، وجهزت المنزل بالتدفئة

المركزية والاسلاك الكهربائية الجديدة. "

بدا مندهشاً وهو يساها :

" أقمت بكل ذلك بنفسك؟"

فردت وقد فرغ صبرها:

" كلام، لقد تلقيت مساعدته من بناء اعرفه، لقاء ثمن

بخس ، نظرا الى انني دبرت له العديد من الاعمال

كما أنعمت علي هذه السنة بأرباح وفيرة، وأصبحت من الانشغال إلى حد افتقرت فيه إلى الوقت للعمل في الكوخ. لكن تم تجديد الديكور في بعض الغرف ، كما أن أنابيب المياه صارت في حال سليمة "

فاجاب دنزل بلاك بنبرة تعكس تسلية واضحة :

" المذا لم يبادر البناء العمل في "البحيرة السوداء؟

"الانه منشغل بالعمل لحسابك؟"

" لكنه ليس البناء نفسه . فالرجل الذي استخدمه لا يطلب بأجر مرتفع . وهو يعمل مع أخيه ، وعلى الارجح لن يتمكن من تولي أمر مشروع بحجم "البحيرة السوداء" ، فقد يستلزم ذلك منه سنوات "

" حسنا هل استطيع ان ارى كوكوك ؟ الان ؟ "

" الان ؟ لكن الوقت متاخر والظلام يكاد يحل . اخشى

أن عليك الانتظار حتى مابعد عطلة الميلاد .

" لكنني لا اريد الانتظار . اصحابي الى هناك الان . "

" لا استطيع .. "

وقبل ان تكمل جملتها ، رأت لوسى تسرع نحوهما
فقالت في عجلة :

" لا تقل لأختي انك سترسل منزلي ، فانا...لا اريد لها
أن تعرف ... وذلك...لأسباب خاصة لا استطيع
مناقشةها "

واحست بعيوني دنزل بلاك الرماديتين الشاقبتين تحرقانها ،
وتقرآن الافكار في عينيها ، فأشاحت بوجهها المتوجج
في الواقع ، لم تكن تريده ان يخبر لوسى خوفا من ان
تعرف مكانه ، فتزوره كلما خطر لها ذلك . بل أرادت ان
تبعد دنزل بلاك عن طريق لوسى قدر استطاعتتها .
اجابها بنعومة :

" لن اخبرها ، ان رافقتنى لرؤية الكوخ الليلة "

فأحسـتـ أـنـهـ تـرـيدـ صـفـعـهـ وـهـتـفـتـ :

"هـذـاـ مـسـتـحـيـلـ !ـ"

عـنـدـهـاـ،ـهـزـكـتـفـيـهـ اـسـتـهـجـانـاـ وـقـالـ:

"بـالـطـبـعـ،ـالـمـسـأـلـهـ تـتـعـلـقـ بـكـ،ـاـذـاـ،ـهـلـ اـخـبـرـ لـوـسـيـ؟ـ"

وـنـظـرـتـ إـلـيـهـ وـالـشـرـ يـتـطـاـيـرـ مـنـ عـيـنـيـهـاـ :

"هـلـ تـقـومـ بـاـبـتـزاـزـيـ؟ـ"

فـالـتـمـعـتـ عـيـنـاهـ بـتـسـلـيـةـ لـاـ اـثـرـ لـلـنـدـمـ فـيـهـاـ :

"اـذـاـ شـئـتـ.ـفـفـيـ عـالـمـيـ،ـتـتـعـلـمـيـ انـ تـسـتـعـمـلـيـ

الـاـسـلـحـةـ الـمـتـوـفـرـهـ كـلـهـاـ.ـاـنـتـ تـعـلـمـيـ ماـ اـرـيـدـهـ،ـوـفـهـمـتـ

أـنـكـ لـاـ تـرـيـدـيـنـ انـ تـكـتـشـفـ اـخـتـكـ مـخـطـطـاتـكـ لـسـبـبـ

مـعـيـنـ،ـلـنـ اـتـكـهـنـ بـهـ الـاـنـ.ـوـكـلـ مـاـعـرـضـهـ عـلـيـكـ هـوـ

"صـفـقـةـ،ـفـمـاـ رـدـكـ؟ـ"

باتت لوسي على بعد خطوات فقط ،لذا كان على
كثير ان تفكر بسرعة وفي النهاية أومات ، ووجهها
تكسوه حمرة الغضب.

"حسناً. اوفق على هذها الصفقة. "

"اذا .MRI بي بعد ساعة. "

وقبل ان تتمكن من الرفض ،اقبلت لوسي لاهثة:
" كانت ردة فعل جيني عنيفة، واخبرتني ان تحضر اليها
توأ. هناك شقتان شاغرتان ، ولكنهما في الطابق
الاعلى ، يمكنك ان تحصل عليهما معاً ، أو على واحد
منهما فقط. ولكن اخشى أن مامن مصعد ، وواضح
ان السلام كثيرة... "

رأته كثير يعبس بشدة ثم يهز رأسه :
" السلام كثيرة؟ كلا ، اخشى ان لا مجال لاستئجار
الشقة اذا . ولكنني اشكرك لتكتب كل هذا العناء

يالوسي ، واجدني مضطراً للرفض. على اي حال ، لاتقلقي سأجد مكاناً آخر. والآن علي الذهاب ، اراكما لاحقاً، من دون شك ".

وقبل ان تستوعب لوسي ماحدث ، كان قد رحل ، فالتفتت الى كلير بخيبة امل: " ه ، يا هي ، ستحزن جيني بشدة لانه لن يأتي . فقد كانت متحمسة جداً ، نظراً الى انها تهوى الافلام ، وتعتقد انه مخرج . ولما اتصلت بها ، اخبرتني انها ستجهز المكان . "

" اذا من الافضل ان تتصل بي بها مجدداً ، لتتوفر على نفسها هذه المشقة . "

فتنهدت لوسي بعمق وقالت : " نعم ، يجدر بي ذلك " وفيما كانت لوسي تعود ادراجها الى مكتب البريد ، هتفت كلير : " اراك بعد قليل "

ثم ذهبت في الاتجاه المعاكس . كان عليها ان تستقل سيارتها وترك المنزل قبل ان تعود اليه لوسي ، والا اضطرت الى الاجابة عن اسئلة ليس في نيتها ان تجib عليها . فما كان منها الا ان مشت سريعاً، وهي تقطب جبينها بغضب .

انها ملزمة بتأجير الكوخ ، كي يقيم فيه دنزل بلاك فتره له ان يحدد مدتها . وهذا آخر ماتتمناه . ولكن بطريقة او باخرى ، أحبط مناورتها . واحست كلير أنه غالباً ما ينجح في مساعيه . لكنها في المستقبل ستراقبه عن كثب ، ولن تجعه يلحق بها الخسارة مجدداً

3- مصاص الدماء

يقع كوخ كلير على بعد نصف ميل من البحيرة السوداء ، وقد بني وفق الطراز الفيكتوري، من الصوان والحجر ، ويعلو سقف رمادي من الاردواز. شيده في الاصل فلاح محلي لايواء خرافه ، وهو قريب من المراعي حيث ترعى النعجات ، بانتظار أن تضع صغارها في الاشهر الباردة الاولى من الربيع. يضم الكوخ أساساً غرفتين وحجرة لغسل الاطباق في

الاسفل ، وغرفتين اخريين في الاعلى . لكنه خلا من اي حمام او حتى مغسلة . وقبل سنوات شب حرق هائل في الكوخ ، فترك فترة طويلة خاليا، متداعيا قبل ان تقدم كلير على شرائه . ولما كان السقف منهاراً . والنوافذ مهشمة وورق الجدران مقشر ، تمكنت كلير من شرائه ببلغ زهيد ، وقررت أن تعيد تصميمه وفق رغبتها .

وقف دنزل بلاك في غرفة الجلوس ، يتأمل الجدران الناصعة البياض ، والموقد الاردوازي الذي بقى ساماً رغم الحريق ، اضافة الى قطع الاثاث الموزعه في ارجاء الغرفة ، التي اشتراها كلير بشمن بخس من المزادات . وما

لبث ان تتم:

" هذا مثير للاهتمام ! ليس حميمياً تماماً ، ولكنه مثير

للاهتمام ، لاسيما أنه ذوقك . "

فتذمرت ب الدفاع :

" لم انته من الديكور بعد، اما الايث فمؤقت، وذلك

حتى اقرر مظهر المكان النهائي "

" له جو خاص . فهذه المصايبح مثلاً تناسب "البحيرة

السوداء " بل تبدو وكأنها تنتمي إليها.

فاحمر وجهك كليرو وقالت:

" لم ات بها من هناك، اذا كان هذا ما تلمح اليه "

رمقها بعينين باردين ، واضاف:

" لم افعل . لا تردي بنزق على كل ما اقوله ، وذلك

اشبه بحادثة مخلوق شرس"

و قبل ان تبدي كليرك اي رد فعل ، اردف بنعومه :

" لكنني مستعد لتقديم عرض"

فتصلبت قبل ان تكتف: " ماذا؟ "

أجابها بصوت رقيق: " بشأن المصايبح "

" آه ! "

استرخت مجددا ، انما قبل الاوان اذ ساها وفي عينيه

سخرية باردة تتعارض مع الدم الحار الذي صبغ

بشرتها : " وماذا ظنت اني اقصد؟ "

ومرة اخرى ، لم تملک وقتا للاجابة اذ بادرها بسؤال

جديد :

" ماذا عن الحرارة ؟ "

فرمقته بارتباك ، قبل ان يفسر كلامه :

" ماذا عن نظام الحرارة في هذا الكوخ ؟ "

" تبعث التدفئة المركزية من الموقد في المطبخ . "

ولم تستطع كلير ان تعرف تماما هل يطلق ملاحظات

ذات حددين ، ام انها تخيل الامر ليس الا . اهي

شديدة الحساسية اليوم . ام انه فعلاً يتسلى على

حسابها ؟ ومهما كان السبب ، فقد دفعها الانفعال الى

الخروج من غرفة الجلوس ، والتوجه الى الغرفة المقابلة ، التي تضم المطبخ ومائدة الطعام . وما كان منه الا ان تبعها ، ثم توقف فجأة وقد علا حاجباه دهشة.

" هذه غرفه مختلفه . أكاد احس انني بحاجة الى

نظارات شمسية لشدة النور هنا؟

بالفعل ، كانت غرفة ذهبية دافئة . فالجدران مكسوة بورق الصنوبر الذي يحفظ الحرارة ، ويناسب الطاولة والكراسي المصنوعه من خشب الصنوبر ايضا . والخزانه الطويله تحوي عدداً من الاواني الخزفيه الصينيه التي دأبت كلير على جمعها على مر السنين . اما ستائر النوافذ . فتزينها تفاحات حمراء لامعة واوراق خضراء كبيرة ، تضفي على الغرفة جوا طفوليأً، مفعماً بالحيويه ونابضاً بالفرح . بدا ذاهلا لا يصدق عينيه وهو يقول:

" أهذا ذوقك؟ "

ودت كير لو ترد بالايجاب ، لكن بدا من الواضح انه
لن يصدقها . وكم ازعجها ان يكون على حق ! فهـي
لاتريد ان يكون رايا عنها . غير انـها اضطرت ان تقر

بالحقيقة على مضض :

"في الواقع تركت لاختي حرـيه انتقاء الاثـاث والستـائر"

فأعلن ، وقد رفع حاجـبيه الاسـودـين بـسـخـريـة :

"آه...انـها لـوـسي اذا .. وهي نـسـخـهـ كـبـيرـهـ لـأـلـيـسـ فيـ"

بلاد العـجـائبـ !ـ نـعـمـ هـذـاـ أـكـثـرـ مـنـطـقـيـهـ"

واستدارت كلـير وخرجـتـ منـ الغـرـفـةـ ،ـ ثـمـ التـفـتـ الىـ

الـخـلـفـ وـقـالـتـ :

"ـ فيـ الـاعـلـىـ .ـ غـرـفـةـ مـفـرـوشـةـ وـاحـدـةـ "

"ـ لـكـنـيـ اـحـبـ هـذـاـ اـخـشـبـ المـكـشـوفـ ،ـ فـهـوـ يـبـدـوـ رـائـعاـًـ"

"

" يعني ذلك انه يحتاج الى ان يচقل جيداً. اعرف امراه بالقرية تقوم باعمال التنظيف ، لكنها تطلب اجراً مرتفعاً، نظراً الى انها تحتاج لسيارة لتصل الى هنا. وقد نظفت المنزل بعد ان غادر البناء! لذا فهي تعرف المكان.

" هل يمكنك ان تطلبي منها تنظيف المنزل مرة في الاسبوع . اظن ذلك يكفي ، فالمكان ليس كبيراً مارأيك؟

" حسنا ، ساتصل بها ، واطلب منها ان تخابرك ، في حال قررت أن تستأجر المكان .

" لقد سبق وقررت ، ساستأجره لستة اشهر . "

وقف في غرفة النوم الاساسية ، وراح يتأمل الجدران البيضاء العارية. والسرير الفردي الضيق ، ثم نقل ناظريه الى الخزانة التي تحتل جانباً مهما من الحجرة

كما لاحظ كرسيا مندا وحيدا من المحمل الزهري اللون . ومرأة من الطراز الفيكتوري ، ابتعاتهما كلير من البلدة في العام الفائت.

بدأت كلير تشكو ، وهي لاتزال تمانع فكرة استئجاره
لوكوها:

" أخشى انك لن تكون مرتاحا هن ا "

فرمقوها بنظرة جافة وعلق :

" بل سأكون بخير ، مادمت لا تمانعين ان اجعل المنزل
اكثر صلاحية للسكن ، اي ان اضفت بعض لوازمي
الخاصه كرسوماتي وكتب وجهاز موسيقى "
ولم يكن باستطاعة كلير أن تبدي اي ممانعه . فاكتفت
بتأمله وهو ينتقل الى النافذه ، لينظر الى البستان
المظلم ، فيما ظله الطويل ينعكس على الحائط الابيض
بطريقة مخيفة .

في الحقيقة ،لم يكن من السهل عليها ان تفكر في انه قد يعيش هنا، في البيت الذي اعدته لنفسها . فمنذ اشتريت الكوخ ، وهي تشعر بالحماس لهذا التصرف المليء بالتحدي الذي اقدمت عليه. وما وصل الخبر الى اسرتها اجفل اهلها ، ثم مالبثوا ان وجدوا الفكره مسلية ، قبل ان يشعروا بالسخط مجدداً. فكيف تقدم على شراء كوخ متداع؟ وما الذي دعاها الى ذلك بحق السماء؟ بل لماذا تحتاج الى منزل مستقل ؟ فلديها منزل ، يجمعها بأبيها واخويها . اما لوسي ، فستتزوج قريباً وترحل لتعيش مع مايك في مكان ما. وحينها من سيعتنى بمنزل العائلة ؟ من سيكون أما حنونا لروبن وجايكي؟ وقرأت كلير في اعينهم انها لا تستطيع الرحيل . فهم يحتاجون اليها.

ولما كانت كلير تعرف ذلك . فارقتها كل نيه في هجرهم
فهي تتمتع بحس قوي بالمسألة وتحب عائلتها ، لكن
فكرة الحصول على منزل مستقل ظلت تعن على
بالها .

وأصبحت ، كلما احتجت الى الهروب من مشاكل
الواقع ، تلجأ الى هذا الكوخ . لذا ، كرهت أن ترى
دنزل بلاك يقيم فيه . وعرفت انه ، لو سكن فيه اولاً
فسيرأودها شعور غريب كلما اقبلت الى هذا المكان .
سألهَا : " أيمكنني الانتقال الى هنا حالاً؟ "
فنظرت اليه كمن لا يصدق : " ماذا تقصد بحالاً؟ "
" أقصد غداً "
لكن غداً يصادف عيد الميلاد ، الن تكون مشغولاً
برؤية أهلك؟ "

فقال بايجاز وببرة من يوصد في وجهها باباً: " لا عائلة
لي "

وتحرك فضولها على الفور. امات أهله؟ اليه لديه
إخوه او أخوات؟ ولكن ، لابد ان له عمه او حال في
مكان! فكيف لاحد ان يكون من دون عائلة على
الطلاق؟

ومالبث ان اعلن :

" لم نأت على ذكر الايجار بعد. فكم تريدين في
الشهر؟"

لم تكن كلير فكرت في الموضوع ، لكنها تعرف المبلغ
المطلوب مقابل ملكيات بهذه .لذا لم يتطلب منها
الجواب ثوان، وتعمدت أن تطلب منه ايجاراً
مرتفعاً، عساه يغير رأيه. لكنه أو ما برأسه:

" حسنا ! قد نطلب من هيلين أن تجهز لنا عقد ايجار لستة أشهر . "

فأجابت وقد ازعجها أن يقبل من دون أن يطرف له

جفن :

" فلندع ذلك الى ما بعد رأس السنة . فكما تعلم ، لم تجد أحداً في المكتب قبل ذلك الوقت . كما أن نزل " بلاكبور " يجيد الاحتفال بالميلاد وستكون مرتاحاً أكثر

" هناك "

عندئذ رد بنبرة فظة :

" أنا أكره الميلاد ، واتحرق شوقاً الى تفویته "

وما كان من كلين إلا ان حدقت فيه بكآبه وسألته :

" أتكره الميلاد ؟ اتعني انك لا تحفل به اطلاقاً ؟ "

" بالنسبة لي ، هذا اليوم يماثل غيره من الأيام . وهكذا

، سأنتقل الى هنا في الغد ، وامضي الوقت في ترتيب

كتبي ورسوماتي بسلام. وساعد حسأء وسلطة
للغداء. ولن اشاهد التلفاز ، او استمع الى المذيع طيلة
ذلك الوقت ، بل سأكتفي بالاستماع الى الموسيقى
أثناء عملي.

" أنا اسفه " فتمتمت :
واذا بعينيه الرماديتين تلمعان بذلك الوميض الاسود
الذي عرفته من قبل . وقال :

" اذا كنت تاسفين من أجلي فلا داعي لذلك ، بل
أشعرني بالأسف على نفسك . ساكون سعيداً جداً
هنا ، فيما اتجاهل الميلاد . ففي ذهني ذكريات بغية
عن الميلاد التقليدي ، وانا متأكد من ان يومي سيفوق
يومك تسلية وهدوءاً "

وراحت كلير تفكر في كل العمل الذي ينتظرها ، من
جلبة الميلاد الصباحية ، الى ايقاظ الصبيان ، لمشاهدة

ترانيم على التلفاز.، وكانت تحرص على ذلك. كي
يتسرى للصبيان أن يسمعها ، فيما يقومان بمساعدتها
على مضض ، ويطلقان الشكوى ، وعيونهما تتألق
حماساً . كما تذكرت هدايا الميلاد وهي تفتح ، ونباح
الكلب وقد أثير حتى الجنون ، بسبب هذا النشاط
غير المألوف . واستعادت رائحة ديك الحبش المحروق في
الفرن ، فيما هي تسرع غاضبة لإنقاذه ، وسط ضحك
الصبيان . وعادت إليها ذكرى تدافعتهاما أثناء ترتيب
المائدة ، بينما لوسي تقدم الطعام ، وجداهما وتشاجرهما
، قبل أن يتركا لها الفضلات لتنظفها . عندها ، يعمد
أبوها إلى النوم في كرسيه الهزار ، فيما تقوم بغسل
الاطباق مع لوسي ، ويخرج أخواها في نزهة في جو
بارد جداً يصرفان فيها تلك الطاقة الزائدة كلها . وبهذا

البيت أخيراً حوالي الساعة، فترنغي في كرسي قبل أن
يعدا

مطالبين بشطائر ديك حبش، وحلوى الميلاد. رفعت
نظرها إلى دنزل بلاك ، وجهها البيضاوي الهديء
مفعم بالدفء والمرح.

"سيكون يومي ساحراً"

فتبدل وجهه وتعمد أن يتفحصها بنظراته:
" ترى، فيم كنت تفكرين؟ في رجل؟ أهو عشيقك؟"
لاترسم هذه النظرة على وجه امرأة إلا حين تفكر في

"رجل"

عندئذ تألقت عيناهما بوميض جليدي، ثم أشاحت
وجهها بعيداً، وحانث منها التفاته إلى ساعتها بحركة
تم عن فروع صبر.

" اريد أن اعود الى منزلي ياسيد بلاك . قد لاتحب الميلاد ، ولكنني أحبه . ومازالت بحاجة الى عدد من الهدايا ، عدا عن المهام التي علي انجازها قبل ان آوي الى الفراش الليلة .

تعليق :

" كما انك لاتحبين الا جابة عن الاسئلة "

تجاهله ، وتوجهت نحو السالم ، ورأسها يضج ب مختلف الاعمال التي عليها اهتمامها ، من الخضار التي تحتاج الى التقطيع والتخزين في البراد ، الى قالب الحلوى الذي عليها تحضيره .

ومع ن كلير تحب الميلاد ، الا انه يتراافق عادة مع اعمال كثيرة ، لا يساعدها فيها احد . عادة ، يخرج ابوها مع اختها و اخيتها الليلة لي Shenoda ترانيا الميلاد حول شجرة الميلاد الضخمة في ساحة البلدة . وهي عادة

درج عليها أهالي البلدة عشية الميلاد بغية جمع الاموال للمؤسسات الخيرية المحلية. والاستمتاع بوقتهم. وكانت غالباً ما ترافقهم، لكنها الليلة لا تملك وقتاً لذلك أبداً. وبلغت بها العجلة حد الانزلاق على الخشب المصقول للسلام و الواقع الى الامام .وكادت تقع بقوة لو لم يمسك بها دنزل بلاك، ويحيط خصرها بذراعيه . واذا بقلب كلير يخفق بين أضلعها تحت تأثير الصدمة . وبقيت ثانية او اثنين واقفة في مكانها ،لاتاتي حركة ،فيما هو يبقيها بين ذراعيه، ولا يسمع الانبعاثات قلبها. وما لبث ان مال اليها ،فأحسست وكأنه ينقض عليها، فيما هي عاجزة ،لا تقوى حراكاً. واذا بوجنتيه تلامسان خديها ،حتى شعرت ببشرته باردة ،ناعمة فسرت في جسمها رعشة حين خيل اليها انه سيعانقها. لكن كل ما فعله هو سؤالها:

" هل أنت بخير؟ "

وكان السؤال من العنف بحيث انتشلها من غمرة النشوة وأعادها الى أرض الواقع. فحررت نفسها من قبضته بارتجاف ، ثم نزلت الدرجتين الباقيتين من السلم، وهي تقول بصوت أحش : " نعم ، اشكرك "

واسرعت الى الباب الامامي ودنزل بلاك يتبعها من غير أن يكلف نفسه عناء اسراع الخطى .
ولما عادت كلير الى سيارتها ، تنفست الصعداء ، ثم انطلقت بعيداً . لكن سعادتها كانت لتصبح أضعافاً لو تخلصت من هذا الراكب ما ان تبلغ البلدة . لاسيما ان وجودها وحيده معه هو بمثابة تجربة مرهقة للأعصاب . وفيما كانا يسيران في شوارع البلده ، وقد

اضاءت انوار العيد المتاجر، نظر اليها دنزل بلاك

بحفاء، وقال:

" انظري الى كل هذه المتاجر بثلجها الزائف واشجار

الميلاد! بات الميلاد مجرد سلعة تجارية ، ولا يحمل اي

" معنى ديني منذ زمن . "

فرمقته كlier بنظرة جانبية باردة:

" هذا بالنسبة اليك ربما، لكن عائلتي تواظب على

زيارة الكنيسة . وسنحضر قداس منتصف الليل

. ونحن غالباً ما نصلي عشية الميلاد، فهذا الطقس

الديني هو الاحب الى انسنا . وتشترك لوسي واخوای

في التراتيل ، وتكون الموسيقى رائعة دائمًا. "

" دعيني اتكهن ... أنها موسيقى آلات الغيتار. "

أثارت نبرة الاحتقار في صوته سخط كlier ، فردت :

" كلا ، لطالما كانت موسيقى الميلاد تقليدية ، وتتألف من ترانيم الميلاد ، أو أناشيد لاتينية قديمة وكلاسيكية ، ونحن نملك آلة أرغن ممتازة . وتقول لوسي انهم سيغنون الليلة لوزارت وبليسترينا . "

ثم توقفت عن الكلام وخففت سرعتها ، قبل أن تشير بيدها إلى اليسار ، وتضيف :

" هاهي الكنيسة . أنها مصدر فخرنا ، فهي واحدة من أرقى الكنائس في هذه الناحية من إنكلترا .
مال دنزل بلاك إلى الامام ليحدق في المبنى العالي الذي يماثل مباني القرون الوسطى ، ببرج ناقوسه الذي يعانق السماء الحالكة ، وبسقفه المقطر ، وجدرانه المبنية من حجر الصوان الرمادي . ويمتد حول المبنى فناء أخضر صغير يحيط به سياج حديدي من العصر

الفيكتوري ، فيما الاعشاب تنمو حول الاشواخ
القديمة ، التي تظللها أشجار معمرة.

" لم لا تأتي الليلة و تستمع الى الأناشيد؟ "

وما أن تفهوت بالدعوة حتى رأته يقطب جبينه .

" لا اظن ذلك ، شكرًا "

" أخاف أنت؟ "

رمאה بنظره من عينيه الضيقتين و سألهما : " وما أخاف؟

فأجابت بنعومه :

" من السماح لروح الميلاد بالتلغل فيك "

لوي فمه ، فيما ومضت عيناه وأجاب :

" ربما ، وأنت ، مما تخافين؟ "

زفرت بارتياح ، وأنكرت وهي تشعر بالتورد في خديها :

" أنا لا أخشى شيئاً "

فأسأله بسخرية:

" حقاً؟ شعرت أني كنت خائفة مني في كوكب "

تصليب ، قبل أن ترد:

" إذاً كنت مخطئاً. فأنا لا أخشاك يا سيد بلاك، وإنما

احذر منك وحسب ، فلقد رأيت التأثير الذي تحدثه

، وأعرف من أي نوع أنت. ولا نية لي في أن أصبح

أحدى ضحاياك "

ظهر الغضب على ملامحه، وأظلمت عيناه وهو يسألها

:

" أحدى ضحاياي؟ ماذا تقصددين بحق الجحيم؟ "

ولما كانا بلغا بلاك بور ، توقفت كلير عند المدخل

الرئيسي وأعلنت وقد اشاحت بوجهها عنه:

"ها قد وصلت يا سيد بلاك "

لـكـنـهـ لـمـ يـتـرـجـلـ مـنـ السـيـارـةـ ،ـ بـلـ لـبـثـ فـيـهاـ ،ـ وـهـوـ يـتـفـرـسـ
فـيـ الـوـجـهـ الـذـيـ بـقـىـ يـتـفـادـاـهـ.ـ وـبـعـدـ دـقـيقـهـ ،ـ قـالـ بـحـفـاءـ:ـ
لـسـتـ مـتـأـكـداـ عـمـاـ تـتـكـلـمـيـنـ ،ـ لـكـنـ اـذـاـ كـنـتـ تـقـصـدـيـنـ
بـيـلاـ دـكـلـانـ ،ـ فـأـنـاـ لـمـ اـدـمـرـ حـيـاتـهـ ،ـ بـلـ الـمـخـدـرـاتـ .ـ وـلـقـدـ
اـدـخـلـتـهـ اـلـىـ عـيـادـةـ ،ـ لـكـنـهـ تـرـكـتـهـ مـجـدـدـاـ،ـ لـاـنـهـ لـمـ تـكـنـ
مـسـتـعـدـةـ لـخـارـبـةـ إـدـمـانـهـ ،ـ وـلـعـلـهـ لـنـ تـنـجـحـ فـيـ ذـلـكـ اـبـدـاـ
فـقـدـ اـسـتـغـلـتـ فـيـ طـفـولـتـهـ ،ـ مـاـ اـثـرـ عـلـيـهـ لـسـنـوـاتـ
وـبـيـلاـ فـتـاةـ مـرـيـضـةـ جـدـاـ،ـ وـمـاـ الـمـخـدـرـاتـ الاـ سـبـيلـهـاـ.
لـلـتـغلـبـ عـلـىـ الـذـكـرـيـاتـ الـتـيـ لـاـ تـسـتـطـعـ مـواـجـهـتـهـاـ.
عـلـيـكـ اـلـاـ تـصـدـقـيـ كـلـ مـاـ تـرـوـيـهـ الصـحـفـ يـاـ آـنـسـهـ

سـامـرـ ،ـ فـهـيـ غـالـبـاـ مـاـ تـبـالـغـ ،ـ وـتـنـشـرـ الـاـكـاذـيبـ .ـ "ـ

"ـ وـلـكـنـ ،ـ اـكـانـتـ مـغـرـمـةـ بـكـ حـقـاـ؟ـ"

وـحـمـلـ صـوـتهاـ نـبـرـةـ فـرـاغـ صـبـرـ ،ـ فـأـجـابـ :ـ

" لعلها ظنت ذلك ، لكن مدمني المخدرات يعيشون في عالم خيالي ، ولا يمكن ان تصدقني كل كلمة يتفوهون بها . "

أدارت كلير رأسها ، ونظرت اليه بازدراء حارق . ولما التقت عيناهما ، استحال لونها أحمر داكنًا . فهتف بحدة : " لا تنظري الى على هذا النحو . فأنت تجهلين كل شيء عنـي . مالذي يجعلك تعتقدين أنك تستطـعين الحـكم عـلـي؟ "

" لم انبس بـنت شـفة ، والآن ، هل تـمانع التـرجل من سـيـارـتي؟ فـما زـال أـمـامـي الـكـثـيرـ من الـأـعـمـالـ ، وـاـنـا عـلـى عـجـلةـ من اـمـرـيـ ، حتـىـ ولو لمـ تـكـنـ أـنـتـ كـذـلـكـ . لكنـهـ لمـ يـتـحـركـ ، بلـ تـعـمـدـ أـنـ يـسـترـخـيـ ، فـأـسـنـدـ ظـهـرـهـ عـلـىـ المـقـعـدـ ، وـوـجـهـ مـلـفـتـ إـلـيـهاـ . وـفـيـمـا رـأـسـهـ مـرـتـاحـ

على يد، راح ينقل نظره عليها ،في نظارات بطيئة
متواطئه . وحرصت كلير على ان تبقى متيقظة تماماً.

" شعرك يشبه ضياء القمر ، كما اسمك بالفرنسية.أهذا
أطلق عليك أبوك هذا الاسم؟ أكان لشعرك هذا
اللون حين ولدت؟ "

فأجابت باختصار وهي تشعر أن خصلات شعرها
تضايقها عند العنق:

" أظن امي احببت اسم كلير ليس الا "
وفكرت في عينيه المتألقتين ، وقد اختفت فيهما ارادة
قلق راحة بالها . وما بثت ان اعلنت :

" والان ،هلا خرجت من سيارتي اذا سمحت يا سيد
بلاك؟ "

" في منزل "البحيرة السوداء" سيارة فيها حاجياتي
الخاصة ، وهي في الاسطبل المقفل . واريد أن انقلها الى

كوخك ، وافرغ محتوياتها في الصباح فهل لي بمقاييس الكوخ اذا سمحت؟ "

ترددت كلير أولاً، ثم مدت يدها إلى جيبها على مضمض، وسلمت مقاييس كوخها. ولما تناولها منها تلامست أناملهما برفق، فاضطررت إلى كبت الرعشة التي سرت في أوصالها. وراحـت تقنع نفسها أن بشرته باردة ليس إلا، وأن لمسـته لم يكن لها أي تأثير عليها.

وقلائلـت السخريـة الباردة في عينيه حين قال :
"أشـكرك وسـأتمـادي . فأـتمنـي لك مـيلادـاً مـجيدـاً" أيضاً. وارجوـن تكون عـطلـتك سـعيدـة بـقدر عـطـلـتي. "

فردـت بـحدـه:

"شكـراً، وأـنا مـتأـكـدة من أـنـني سـأـكون أـكـثـر سـعادـة فـفي المـيلـاد، كـما فـي غـيرـه، يـحـصـد المـرـء عـادـة ماـيـزـرـعـه. "

ضـحـكـ وأـجـابـها:

"أتقصدين أنني أستحق قضاء الميلاد وحيداً؟ اسمعي ،انتظريني هنا دقيقة ، أريد أن احضر شيئاً وسأعود في الحال"

و قبل ان تتمكن من الكلام، خرج من السيارة . فما كان منها الا ان راقبته وهو يدخل المقهى القديم . ترى ، ماذا يخطط الان؟ ثم نظرت الى ساعتها وقد عيل صبرها . يجب عليها أن تعود الى البيت ، فيكفي ما أضاعت من وقت على دنزل بلاك . وفيما هي غارقة في افكارها ، عاد وهو يمشي بتمهل ، ثم استقر في المهد الامامي مجدداً ، فالتفت اليه كلير بتساؤل . ماذا ذهب ليحضر؟ وبعد ثوان معدودة ، رفع ما في يده حتى أخذ يتسلى فوق رأسها . فرفعت وجهها بحركة غريزية ، وأبصرت الساق الخضراء ، والاوراق الخضراء ، وحبات التوت المتألهة الصلبة . إنه نبات المهدال !

تنتهي :

" بما أنك تبدين كأحد الوثنين في طقوسك ، فهذا

طقس يسعدني المحافظة عليه "

وما إن اتم كلامه، حتى مال نحوها وعائقها عناقاً خاطفاً، لكنه خلفها ضعيفة ، لاهثة ومصعوبة.

لبيت في مكانها صامتة وتشعر بالدوار ، فيما خرج دنزل بلاك من السيارة، من غير أن يضيف كلمة أخرى. ومن العجب أن كلير لم تنطلق في الحال وسرعان ما توقفت سيارة أخرى خلفها ، واخذت تحتها على المسير . فأدارت المحرك على غير هدى ، وتوجهت نحو الطريق العام، حيث كادت تصطدم بحافلة . ولحسن الحظ ، لم يكن السائق مسرعاً فتمكن من الفرملة قبل أن يصطدم بها.

وهنا ، استجمعت كلير أنفاسها وقد تملّكتها الرعب . ثم
أومأت الى السائق باعتذار ، ومضت الى بيتهما وهي

ترتعد

في الواقع ، كانت مسروقة بعهتماتها العديدة هذا المساء ، فالعمل أكثر أماناً من التفكير . وكلما فكرت ، كلما
أحسست برأسها يدور ، إذ لم تصدق هذا الشعور الذي
ولد فيها لما عانقها . بدا لها وكأنه زلزال ، مازالت تشعر
بهزاته حتى اللحظة .

لكن ، بدا ان أحداً لم يلاحظ ذلك التغيير فيها ، لاسيما
أن عائلتها كانت تستعد للذهاب للمشاركة في انشاد
الترانيم .

وطمأنها والدها :

" لقد أحضرنا طعاماً صينياً من المطعم ، فلا تقلقي
 علينا . هل تدبرت مكاناً يسكن فيه السيد بلاك؟ "

فنظرت كلير الى لوسي ، التي دافعت عن نفسها ببراءة

:

" قلت لأبي ابني أظن أنك ذهبت لهذا السبب . وقد عرفت أنك لن تتركي الرجل المسكين في نزل طيلة فترة الميلاد ! "

عندئذ ، ردت باقتضاب :

" نعم ، وجدت له مسكنأً "

فنظرت اليها لوسي بحماس لم يعجب كلير ، وسالتها : " أين ؟ "

" في منزل جديد ، عرض للايجار في الامس . وهو خارج البلدة ، وغير بعيد عن "البحيرة السوداء". ."

عندتها ، هتفت لوسي بنعومه :

" يمكننا ان نساعدك على الاستقرار . فلا شك أن

" رجلاً يعيش وحده بحاجة الى المساعدة"

" بل لا يحتاج الى اي مساعدة ، وهو قادر على التصرف وحده. أما إن عانى من مشاكل ، فلديه من المال ما يمكنه من حلها. "

ثم حانت من كلير التفاته الى ساعة الجدار وقالت: " ستتأخرنون "

فأطلق روبن شكوى صارخة: " أنها محققة، هيأ بنا! " أسرعوا الخطى ، على أن يعودوا لاحقا مع باقي أعضاء الكورس ليتناولوا طعام العشاء، قبل ان يذهبوا الى الكنيسة عند منتصف الليل .أما في ال وقت الحالي ، ف تستطيع كلير الاسترخاء والاستمتاع بمساء هاديء وهي تعد الطعام وتستمع الى الموسيقى، وبما أنها ستنصت الى الترانيم لاحقاً في الكنيسة، فقد قررت الاستماع الى الكونشيرتو الثالث والعشرين لموزارت وهو المفضل لديها. وأسرعت لتضييف الخضار الى حمل

ضخم، ثم أدخلت المزيج الى الفرن استعداداً للعشاء، وفي انتظار نضوجه يمكنها ان تحضر الفطائر المحسنة، التي خبزت كمية كبيرة منها ، سيلتهمها أعضاء الكورس بلا شك.

كانت الغرفة المتصلة بالمطبخ باردة، لا تشملها التدفئة المركزية . لهذا ، فهي منعشة صيفاً، جليدية شتاءً. وقد وزعت فيها طاولات طويلة ، صفت فوقها قوالب حلوى بالكريما ، زينت اعلاها بخيوط متعددة الالوان من السكر ، وقطع حلوى برترالية وحمراء وخضراء ، فبدت كأنها مجوهرات متأللة في أوعية زجاجية.

المنزل بكماله يعبق بروائح الميلاد، من اكواز الصنوبر، ونباتات البهشية واللبلاط التي قطفها والدها واخوها قبل أيام ، فعلقوها حول أطر الصور وعلى الشرفات والنوافذ وزينوها باشرطة ملائكة ، وأوراق حمر وذهبية

كما انتشرت رائحة الطعام في أرجاء المنزل ، وهو بدوره شهي وغريب وغني ، من بلح وجوز ، إلى زبيب وأناناس ، فأكواب العصير وأطباق اللحم .

وكانوا قد رتبوا البيت استعداداً للميلاد ، كعادتهم في كل سنه . فالأشرطة المتسلية في كل غرفة ، وأجراس الميلاد تتد من السقف وتتوزع هنا وهناك ، فيما شجرة الميلاد تزين غرفة الجلوس قرب النافذة ، وتملاً الجو بعبق الصشنوبر . والشجرة في غاية الجمال ، مزينة بالكرات الزجاجية ، وغيرها من أدوات الزينة .

وتهالكت كلير على كرسي بذراعين قبالة النار ، وبيدها فنجان قهوة . وراحت تنظر إلى الشجرة بعينين ناعمتين ، فيما الغرفة غارقة في ظلام طفيف ، لا يبدده لا نور مصباح صغير . لابد أن الآخرين سيعودون إدراجهم قريباً ، لكنها تعبة الان ، وينتابها ذلك الوهن

الجسدي اللذيذ. سرعان ماتشاءبت وهي تمدد بكسيل مشغولة البال ولم تمض دقائق حتى اغمضت عينيها، وراحت في أغفاء خفيفة.

وفجأة، دخل دنزل بلاك الى الغرفة ، وقد انعكس طيفه الاسود المألف على الجدران، حتى كاد يتلعلها. لم تكن قد أدركت قبلًا أنه بهذا الطول، فقد بدا لها أن رأسه يلامس السقف، فيما قامته رفيقه كخيط الدخان ، تتلوى نحو الاعلى . واذا بدمها يمسي بارداً، ليستحيل حاراً مجدداً ، وعجزت عن التنفس ، او الكلام وشعرت أن سراً غامضاً يمنعها من الحركة.

تطلت اليه وهي تناضل لتحرر ، وتنهض . لكنه بادلها النظارات ، وابتسمة جافه غريبة على وجهه، وعياته الرماديتان شاحبتان وكأنهما خضعتا للتنويم المغناطيسي ، فيما قوة ارادته تقضي على كل مقاومتها . وشعرت

ارتجفت كلينر . هل حدث ما حدث فعلاً؟ أم كان مجرد

حلم؟ ترى أهي اتحلم الان؟ وهل تحقق منامها

؟ اسيطفو في أرجاء الغرفة ثم ...؟

وأقبل من خلفه لوسي والصبيان وهم يضحكون ،

وقد علت وجوههم حمرة البرد والا ثارة ، فيما أبوها

وبقية أعضاء الكورس يتجمعون من خلفهم.

واذا بصوت يصدق : " ميلاد مجید، كلينر ! "

وارتفع صوت آخر : " هل أيقظناك؟ يا للأسف ! "

وكشر روبن :

" طنا أنك انتهيت من إعداد الطعام أيعقل هذا

يا كلينر؟ اننا نموت جوعاً ! "

ثم تقدمت لوسي لتدبر زر الكهرباء الرئيسي ، وهتفت

:

" تفضلوا جميعاً "

وغمـر الغـرفة نـور مـشـرق بـهـر كـلـير وـهـي تـنهـض مـن
كـرسـيـها . وجـلس أـعـضـاء الـكـورـس فـي مـقـاعـدـهـم وـهـم
يـضـحـكـون وـيـتـحدـثـون ، وـكـلـ منـهـم يـحاـول الـاقـتـراـب مـن
الـنـارـ، فـي حـين اـنـشـغـلـ بـعـضـهـم بـتـحـيـة كـلـير وـتـهـنـئـتـهـا
بـالـعـيـدـ.

وـمـع أـنـهـا لـم تـنـظـرـ إـلـى دـنـزـلـ بـلـاـكـ ، إـلـا أـنـهـا شـعـرـتـ بـهـ
يـرـاقـبـهـا . ماـذـا يـفـعـلـ هـنـا بـحـقـ اللـهـ؟ وـكـيـفـ تـمـكـنـ مـنـ
الـانـضـمامـ إـلـيـهـمـ وـالـاحـتـيـالـ لـيـدـعـونـهـ؟
وـهـنـا تـكـلـمـتـ لـوـسـيـ ، وـهـيـ تـنـظـرـ إـلـى دـنـزـلـ وـعـيـنـاهـا
تـتـأـلـقـانـ اـشـرـاقـاًـ وـعـلـى شـفـتـيـهـا قـطـرـاتـ نـديـةـ.
" لـقـد سـعـنـا دـنـزـلـ وـنـحـنـ نـغـنـيـ فـيـمـاـ كـانـ يـسـيرـ فـيـ الشـارـعـ"
، فـتـوـقـفـ لـيـنـصـتـ إـلـيـنـاـ ، وـبـقـيـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ . وـبـالـفـعلـ
" كـانـ أـفـضـلـ مـسـتـمـعـنـاـ . "

دق ناقوس الخطر في ذهن كلير ، في حين تابعت
لوسي:

" دعاه أبي لتناول العشاء معنا. والطعام وفير، اليه
كذلك؟ "

فأجابت كلير بتبليس ، وقد اقشعر بدنها وهي تشاهد
أختها تبتسم له:

" طبع آً"

منذ تعرف دنزل بلاك الى لوسي، وكلير تخشى هذه
اللحظة ، ولم تشاً ان تبعد لوسي عنه لاميلاً ، فحسب
بل جهدت لفصلهما عن بعضهما البعض كلياً. لكنها
أدركت الان ان اختها لن تستمع الى تحذيراتها
بسهولة. وهنا تقدم والدها :

"أتحتاجين لمساعدة؟ أيها الصبيّان، تقدما وساعدا

شقيقتكما، لوسي ، احرصي على راحة ضيوفنا

، وقدمي لهم الشراب "

وأعلنت كلير وهي تخرج من المطبخ:

"لقد أعددت الشراب، وسيحضره روبن في الحال "

"مم... يبدو لذيدا ماذا وضعت فيه؟ هل لي

بكوب؟ "

" انه محضر أساسا من عصير الفاكهة ، اضافة الى

التوابل ، لكنني أضفت اليه أيضاً شراب الكرز.

يمكنك الحصول على كوب طبعا، فلن يضرك أن لم

تكثّر منه. "

وتقدم جامي بسلتين مليئتين بالخبز الفرنسي، ثم سألها

: مقلداً أخاه

"هل لي بكوب أيضاً؟ "

وشرع ترقب اباهما، وهو يلبس القفازات ، ويخرج

الطعام من الفرن بعناية . ثم سالته:

" هل الصينيه ثقيلة عليك يا أبي؟ "

طمأنها : " بل أنا بخير "

كانت قد أعدت المائده مسبقاً، ووضعت السكاكين

والاطباق والمناديل الورقية. القت حولها نظرةأخيرة

لترى ماذا ينقص بعد، فأبصرت شخصاً يدخل الغرفة

ببطء ، مشرق العينين وعلى وجهه سحر متملق.

" مرحباً كلير ، هل يمكنني مساعدتك؟ "

بدا على ملامحها أنها غير مصدقة :

" هال ! لم الا حظ أنك مع الكورس ، هل عدت الى

البلدة لقضاء الميلاد؟ "

منذ ثلاثة سنوات ، وقعت كلير في حب هال ستيفنر ،

وآمنت أنه يحبها أيضاً، الى ان تزوج فجأة من امرأه

أخرى ، وانتقل بسرعة من البلدة ، ليعيش في يورك مع زوجته الجديدة.

وكتب لكليير رسالة يشرح فيها الوضع ، لكنه بعث بها ليلة زواجه المفاجيء فكان ان سمعت بالخبر من جار ، تعاطف معها بشدة ، الا انه وفي الوقت نفسه ، غمره الفضول ليرى تعابير وجه كليير المصودمة.

ولم تتسلم الرسالة الا بعد مرور يومين ، وشرح فيها انه تزوج المرأة الاخرى لأنها تنتظر منه مولوداً. وصعب على كليير أن تتذكر كيف شعرت في باديء الامر . إنما تملكتها إحساس بالكرب وعدم التصديق . وعاشت لا شهر كإنسان آلي ، بالكاد يدرك المرء مايفعله أو يقوله ، وإنما يكتفي بالعيش . ومع الوقت ، تغلبت على المشكلة ، لكنها باتت حذرة جدا ، وعلى قدر من التشاؤم وشديدة الاحتراس في مايتعلق بالرجال .

ولم تدرك أنها نفذت بجلدها إلا لاحقاً، حين استوعبت رسالة هال المثيرة للشفقة. وقد كتب فيها انه لا يحب زوجته الجديده ، بل ربطه بها علاقة قصيرة حين قضت عطلتها في غرينهاوي. في تلك الفترة ، كانت كليري مشغولة جداً، فشعر بالوحدة ، ثم أحس انه وقع في فخ لما حملت ستيفاني منه، لكن كلير ما زالت المرأة التي يحب . ولاحقاً، شعرت كلير بالاسف على زوجته ، ما أن بدأت تفكر بصفاء مجدداً. فأي نوع من الزواج هذا، حين يتحدث هال بهذه الطريقة عن زوجته، ويكن لها هذه المشاعر . لوكرهت كلير الامر لو عرفت أن رجلاً ما يتحدث عنها على هذا النحو ! بعدها، سمعت كلير ان ستيفاني تشارف الثلاثين من العمر، ولا تتمتع بقدر من الجمال ، ولكن أهلها أغنياء، وشبكة أعمالهم واسعة مزدهرة وبعد ان تزوج هال من ابنتهم

،شغل مركزاً مهماً كمدير مبيعات وبلغ ربحه حداً
لابأس به.

رد عليها بابتسame:

"كنت أغنى مع أعضاء الكورس ، واصر والدك على
مجئي "

لطاما دللت والدة هال ابنتها ، فظن أنه يستطيع
استرضاء أي امرأة ولعله نجح مع معظم النساء.

أما كلير ، فلا ، نظرت اليه ببرودة وفي عينيها الزرقاوين
سخرية واضحة . هذه المرة ، لن تقع أسيرة سحره ، لن
تقع ثانية أبداً. فهي تعرفه جيداً.

قلت له انك لن ترغبي في رؤيتي مجدداً. لكنه أكد أنك
نسيت الامر وسامحتني على ما مضى ، وأنه الميلاد على
كل حال...."

وفاضت عيناه الزرقاءان تفاؤلاً. كان اشقر ،ناعم البشرة، وعلى وجهه سمات طفولية، وسحر فائض تعود أن يتكل عليه. مما دفعها الى التساؤل عما عساه يفعل حين تمر عليه السنين، ويفقد ذلك السحر الصبياني الذي يتميز به.

" هل عدت لقضاء الميلاد مع أهلك؟ "

وكانت تعرف أن أباه وأمه أمضيا الميلاد المنصرم مع زوجته وطفلهما. وأبواه يملأ متجر خرداءات في البلدة، وقد التقته في أحد أيام الربيع الفائت، فراح يتحدث بلا هواده عن حفيده ونجاح ابنه متجاهلا ما اقترفه ولده في حقها. الا ان زوجته لطالما بدت محروجة عند لقائها بكلير.

"هذا صحيح . وحين مرت "بتاون هول" ورأيت الكورس يعني ، لم استطيع مقاومة الرغبة في الانضمام اليهم. وقد استعدت العديد من الذكريات الجميلة. "

ثم أخفض بصره وتنهد ، قبل أن يردد :
"كليير.... من الرائع ان اراك. انت اجمل مما اذكر، وانا لم انسك مطلقاً ، وانت أيضاً، أليس كذلك

"؟"

فأجابت بحدة:

"في الواقع، بما أنك متزوج ولد طفل. فعد الى الباقين

يا هال، واتركني وحدي "

أمسكها بكتفيها، وقد علت الاشارة وجهه:

" سأفعل بعد دقيقة ، يا كليير ، ولكن امنحيني قبلة واحدة أولاً "

كانت على وشك أن تدفعه بعيداً عنها، حين أمسك

به شخص آخر ورمى به إلى أقصى الغرفة.

"لقد سمعتها ! أخرج من هنا !"

فعجزت كلير عن التعبير. وما كان منها إلا ان حدق

في دنزل ذاهلة وقد اتسعت عينها الزرقاء ارتياعاً.

أما هال، فاصطدم باجدار عند الباب محدثاً صوتاً

مكتوماً. وملأ الغضب وجهه الوسيم ، ثم تطلع الى

دنزل وهو يشد قبضتيه استعداداً للعارك.

"فنصحه دنزل بنعومه: "لاتفك في ذلك حتى !"

توقف هال فجأة ، وكأنه يعيد التفكير في الامر لاسيما

بعد أن سمع نبرة دنزل الامرة . بدا متربداً، قبل ان

يحملق فيه ويدمدم: "لا تستحق العناء".

ثم اختفى. أما دنزل ، فنظر إلى كلير وقال متشدقاً:

"أهذا هو الشخص الذي وضعك في مخزن بارد؟"
كنت أعرف أن الامر يتعلق برجل. فلا بد من وجود
سبب لهذه الطبقة الجلدية التي أصطدم بها كلما
تكلمت مع امرأة جميلة مثلك "

فأجابت كلين بحده:

" ولم تفك طبعاً في ان حدي تعود لتصرفاتك! اذا لم
يغمى علي في الدقيقة التي رأيتكم فيها ، فهذا لا يعني
أني أشكو من عيب "

بدا متسلياً:

" شيء من هذا القبيل ، عرفت أنك مررت بتجربة
فاشلة ذات مرة، لكن علي الاعتراف بأن ذوقك قد
خيب أمني. ماذا أعجبك في هذا الرجل بحق السماء؟

"

فأجابت وصوتها يقطر جليداً:

"أما أنا ، فكنت أتساءل مالذي يعجب النساء فيك"

ومالبنت أن اخرجت وعاءً كبيراً من القشدة ، وناولته

إياه قائلة:

"هلا تكرمت وسلمت هذا للباقين؟"

لكنه لم يطعها ، بل نظر إليها من خلال أهداه

كسولة ، وابتسم ، ثم أضاف:

"ألا اتلقي شكرأً لأنني وفرت عليك عناًء صفعة؟"

فتتممت بفتور: "شكراً"

وسرعان ماقهرة :

"في يوم ما علي أن اكتشف أن كان الدم يسري في

شرابينك"

وابتعد حاملاً الوعاء ، فيما تسمرت كلير في مكانها

وهي تحدق فيه ، وجسدها يرتعش ، وقد تذكرت الحلم

الغريب ، اضافة إلى الرعب والانفعال الذين تملكاها.

الذين تملّكاهَا.

4- ابتعد عن اختي!

فترة مابعد رأس السنة ، مر عمل كلير بفترة ركود ، فقلة من الناس يفكرون بتغيير بيونهم في الشتاء. وكان هذا موضوع حديثها مع جوني برتشارد، المحامي الذي تولى معظم مهمات هيلين في فترة نقاهتها الطويلة. بدا

جوني متعاطفاً ، ووافق :

"انا اتلقي قسماً كبيراً من دخلي من السمسرة أمثالك! لكنني محظوظ بالحصول على وصاية أعتمد عليها ، إذ يميل عدد كبير من الناس الى الموت في الشتاء ، وكمنفذ لوصاياتهم ، أتلقي أجرًا لا بأس به. "

كان جوني رجلاً لطيفاً، في أوائل الثلاثينيات اشقر وضعيفاً. وقد فشل زواجه بعد سنوات ، ولذا عاش مع والدته في شقة على الساحل . وتقول الاشاعات المحلية إن أمه تسببت بالطلاق، لكنها لطالما كانت لطيفة مع كلير منذ عرفتها قبل أعوام انقضت. وتابع جوني : " قالت لي أمي أمس انه علينا أن ندعوك على العشاء قريباً. فمتى يمكنك المجيء؟ هذا الأسبوع؟ " ترددت كلير لبرهة، ثم ابتسمت له: " حسناً، مارأيك في يوم الاربعاء؟ " رحبت بها السيدة برتشارد، وأعدت لها طعاماً خاصاً، ثم أصرت على ان يعزف لهما جوني على البيانو بعد العشاء. استمتعت كلير بتلك السهرة ، ومالمشت أن دعت جوني بدورها الى منزلاها بعد أسبوع. ولاحقاً، قالت لها لوسي بتشكيرة:

" انه هاديء ، جداً! ماذا ترين فيه؟ اظن أنه جديـر بفتـاة أخـرى ، نظـراً لأنـه يتـلقـى مـدخـولاً كـبـيراً . لكنـ، صـدقـاً كـلـيـر ، انه يـخلـو منـ الاـثـارـةـ تمامـاً ! "

لـكنـ كـلـيـرـ لمـ تـكـلـفـ نـفـسـهاـ عنـاءـ المـجـادـلـةـ ، فـهـيـ تحـبـ جـوـنـ . وـمـعـ انهـ لـيـسـ الحـبـ الـذـيـ يـدـفعـهـاـ إـلـىـ الـارـتـبـاطـ بـهـ، إـلـاـ أـنـ لـوـسـيـ لـاـ شـأـنـ لـهـ بـذـلـكـ.

وـخـالـلـ الـاسـابـيعـ الـأـولـىـ مـنـ السـنـهـ الـجـديـدـةـ ، تـسـاقـطـ الثـلـجـ بـشـدـةـ فـيـ الـبـلـدـةـ . فـتـكـدـسـ عـلـىـ الـأـرـصـفـةـ، وـاستـحـالـتـ الـأـشـجـارـ نـافـورـاتـ مـنـ الـكـرـيـسـتـالـ، فـيـماـ اـتـخـذـ الـبـحـرـ شـكـلاًـ شـاحـباًـ، غـاضـباًـ، عـاكـساًـ السـمـاءـ الـبـارـدـهـ.

وـفيـ صـبـاحـ أـحـدـ أـيـامـ الـاسـبـوعـ الـبـارـدـةـ ، تـقـتـمـتـ لـوـسـيـ عـلـىـ مـائـدـةـ الـافـطـارـ :

" أرجو أن يكون المكان الذي أستاجره دنزل بلاك
دافئاً "

وسرعان مالتفتت الى كلير بعينيها المشرقتين
المتسائلتين:

" وأين يقع بالمناسبة. لقد نسيت تماماً.... كلير! أنت
لا تنسين أبداً الملكيات التي تهتمين بامرها. أتعرفين؟ لا
شك أنه يشعر بالوحدة في هذه البلدة الغريبة ، لاسيما
بعد أن عاش في هوليوود. "

ومالبثت أن تنهدت بحسد وأضافت:

" تصوري كل تلك الحفلات والنجوم المشهورين ! لا
بد أن الامر رائع ! "

فكرت كلير كم ستكره العيش في هيوهوليود، فحياة
البلدة تناسبها أكثر ثم أجابت بخفاء :

"ربما لا. ولعله لم يأت الى هنا إلا املاً في تلك الوحدة على كل حال، لم يهمك أمر رجل آخر وأنت مخطوبة؟"

فردت بحده، وقد احمر خداها:

"الا يمكن ان يكون لي اصدقاء اخرون ،وان كنت مخطوبة؟"

"لكن، ليس رجالاً كدنزل بلاك يالوسي ! فالعبارة التي

تصفه بحق هي :الرجاء التعامل معه بحذر. "

فهقفت لوسي وقالت:

"كنت اعتقد أنك غير معجبة به لكن يبدو أنك

تجدينه ساحراً جداً!"

ولما عبست كلير، سارعت لوسي بالنهوض عن المائدة

: وهي تقول :

" يا إلهي ، انظري الى الساعة... يجدر بي أن أسرع ، أراك الليلة. قد أتأخر ، إذ لدى اجتماع موظفين بعد دوام المدرسة، وذلك لمناقشة مهرجان الربيع الذي

" تخطط له "

راحت كلير تراقبها وهي ترحل ، والقلق يعلو وجهها ، فقد بات اهتمام لوسي بدنزل بلاك مزعجاً. ولن يطول الامر حتى تتبلغ الاشاعات مسامع مايك ، ان تورطت معه . فهذه بلدة صغيرة ، ولا مجال لأنخفاء الأسرار.

وبعد فترة ، علمت ان البنائين باشروا العمل أخيراً في "البحيرة السوداء". وكان هذا المنزل الأكثر شهرة، لذا تحمس الجميع لفكرة أن يعود للحياة بعد أن بقي خالياً فترة طويلة. وبعد أسبوع ، وفيما كانت كلير تقفل

الوَكَالَةُ فِي الْمَسَاءِ، خَفَّتْ سِيَارَةُ مِنْ سُرْعَتِهَا إِلَى جَانِبِهَا

"وإذا بدنزل بلاك ينادي: "سأوصلك الى البيت "

هُزْتَ كَلِير رَأْسَهَا نَفِيًّا:

"کلا شکراً سأسیر فالمنزل ليس بعيداً"

فأمرها وهو يفتح الباب الامامي : " اصعدني ! "

وإذا بها ترى على الرصيف الآخر انساً تعرفهم

يصفون الى حوارهما وان اكملت مسيرها ، فيما دنزل

يتبعها بسيارته ، ويجادلها ، فستتضارب التكهنات

وتتنوع. وأدركت بامتعاض أنها لا تملك خياراً. فعلاً

التورد وجنتيها ، وصعدت الى السيارة ، قبل ان ينطلق

بها دنzel. ومن غير أن تنظر إليه، همست بعنف:

"إِيَّاكَ أَنْ تَفْعُلْ هَذَا مُجَدِّداً"

فِسْأَلُهَا بِكُلِّ بُرَاءَةٍ :

" أَفْعَلَ مَاذَا؟ أَتَبْرَعُ بِإِيصالِكَ إِلَى مَنْزِلَكَ؟ وَمَا لِيْبُ فِي
هَذَا؟ "

الْتَّفَتَ إِلَيْهِ بِحَدَّةٍ وَأَجَابَتْ:

" كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَنْطَلِقَ مَا إِنْ رَفَضْتَ، بَدْلَ إِنْ

تَرْعَجُنِي أَمَامَ كُلِّ هُؤُلَاءِ النَّاسِ! "

" وَلَمْ تَهْتَمِّنْ بِآرَائِهِمْ؟ "

" إِنَّهَا بَلْدَةٌ صَغِيرَةٌ، وَلَا أَحْبُّ إِنْ أَكُونْ مَوْضِعَ حَدِيثٍ.

لَوْى فِمْهُ سُخْرِيَّةً وَقَالَ:

" سَتَعْتَادِينَ عَلَى هَذَا إِنْ كُنْتَ مُضْطَرَّةً، فَعَلَى الْمَرْءِ إِنْ

يَضْعُ قَنَاعاً أَوْ اثْنَيْنِ "

رَمْقَتْهُ بِنَظَرَةٍ جَانِبِيَّهُ وَسَأَلَتْهُ: " وَكَمْ قَنَاعاً لَبِسْتَ؟ "

فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ ضَحَّكَ وَقَالَ: " تَوَقَّفْتَ عَنِ الْعَدْ

" مِنْذَ زَمْنَ طَوِيلٍ "

وفجأة أدركت أنهما لا يتوجهان إلى منزلاً، فعدلت

جلستها، وشعرت بكل عضلة في جسدها تتصلب.

"إلى أين تذهب؟"

"فكّرت في أن نتناول العشاء في مكان ما في

البلدة. وقد اكتشفت مطعماً صغيراً هادئاً، يديره طباخ

متاز فعلاً." "لكن لدي موعداً، فأرجوك، خذني إلى

المنزل."

واراحت تكتب الرعب في صوتها، وهي تحاول أن تبدوا

باردة وبعيدة.

والتفت إليها : "موعد؟ مع رجل؟"

"نعم، مع أن لا شأن لك بهذا. فهلا عدت أدراجك

إذا سمعت، وأوصلتني إلى المنزل؟ لا أريد أن أتأخر"

تمهل في قيادته وقد أشاح بوجهه الذي بات

قاسياً، غامض الملامح:

"كان لدى انطباع ان لا رجل في حياتك"

فأجابت بارتياح فظ لم تستطع أن تشرحه حتى لنفسها

: "إذا... كنت مخطئاً"

"وما اسمه؟"

ولما لم تجيب، ادار رأسه مجدداً نحوها، ونظر اليها بحدة

وعيناه تلمعان:

"سألتك عن اسمه"

"لأشأن لك بحياتي الخاصة."

"ليس الشاب الذي كان يضايقك في حفلة ليلة

الميلاد؟"

فردت بإجفال:

"هال؟ كلا، طبعاً! هال لا يعيش هنا بل عاد الى

البلدة لقضاء الميلاد وحسب"

عندها، تتم بهدوء:

" جيد، وكما تعلمين ، لقد تفاجأت بما سمعته مصادفة "

" لم أظنك من النوع الذي يتورط مع رجل متزوج .

فردت بحده وقد تورد خداتها :

" لم يكن متزوجا حين عرفته "

علق بهدوء :

" فهمت . أتزوج بعد أن قطع علاقتك به ؟ أم من

منكما قطع العلاقة ؟ أنت أو هو ؟ "

واثار فضوله انزعاجها ، وهي التي لم تكن تريده أن

يهتم بحياتها ، فما بالك بحياتها العاطفية ؟

" أرجوك ، هلا توقفت عن طرح هذه الاسئلة

وأوصلتني الى المنزل ؟

هز كتفيه بلا مبالاة ، وانعطف بالسيارة ، وتوجه الى

منزلها مباشرة من غير عجلة . ولما توقف امام البيت ،

فكت كلير حزام الامان ، لكن يده قبضت عليها في هذه اللحظة وأمسكتها من رسغها.

" ماذا عن الرجل الذي تواعدينه الان؟ منذ متى

تعرفينه ؟ هل العلاقة جدية؟ "

وردت على نظراته المتسائلة ببرود:

" كيف تظن انك تملك الحق في سؤالي؟ وماذا لو كنت

جدية؟ مادخلك بهذا؟"

فأصر : " أهي جدية؟ "

وكذبت : " نعم "

وإذا بها ترى عينيه تومضان ، فيما حاجباه يرتفعان

فوقهما :

" لم لا تخبريني عن اسمه؟ أهو متزوج أيضاً؟ "

فأجابت بحدة: " كلا، واسمه جوني . والآن هلا تركتني؟

"

ظننت لبرهة أنه لن يفعل ، فاحسست بأعصابها تتشنج

تحت بشرتها منذرة بالخطر . وقادت أعينهما معركة

صامتة ، سلاحها النار التي اشتعلت بينهما .

وفاق التوتر كل احتمال ، وأحسست بأنها على وشك

الصرخ ، لكنه أطلق أخيرا ، فسارعت بالترجل من

السيارة ، ومضت من غير أن تلتفت وراءها .

وكان من المهم بالنسبة لها ألا تلتفت وراءها ، لئلا

يعتقد أنه ترك فيها أثراً ما . ولم تكن تكذب عليه ، فهي

مرتبطة بموعد مع جوني برتشارد ، وسيصطحبها إلى

مطعم يوناني جديد فتح أبوابه في البلدة هذا الشتاء .

وفيما هي تستعد ، أطلقت كلير تنهيدة ، فجوني رجل

لطيف . لكنها لا تستطيع التفكير فيه كما تفكر في

دنزل بلاك ، رغم أن هذا الأخير لا يمت إلى اللطف

صلة؟

في الواقع ،لم تنشأ أن تعبره أي اهتمام . وحاولت أن تتقيد بذلك أثناء النهار، لكنه غالباً ما يتسلل إلى أحلامها بازعاً . وظل ذلك الحلم الغريب الذي نسجت حبائلة ليلة الميلاد يراودها مراراً وتكراراً خاللاً هذا الشتاء الطويل والبارد ،رغم أنها لم تفهم معناه حقيقة . وبدأت تخشى من الخلود إلى النوم .

ولم تلتقط دنجل بلاك لأسابيع ، لكنها أحياناً تلاحظ حركة ناشطة وهي تمر "بالبحيرة السوداء" من سقالات حول السقف إلى عربات مركونه في الفناء ، وكومه من مواد البناء موزعه خارج المنزل، إضافة إلى رجال ، في أيديهم أ��واب من الشاي ، يتأملون الطقس الذي أصبح معتدلاً هذا الأسبوع، بعدما ذاب الثلج ليترك المنطقة مغمورة بالمياه.

وخلال هذه الاسابيع ، كانت نادراً ماتجد لوسي في المنزل . فقد حتم عليها المهرجان العديد من التمارين بعد المدرسة والقليل من وقت الفراغ. لكن كلير فكرت بارتياح ، أنها ، على الأقل ، ستensi منزل بلاك . فهي لا تأتي كل ذكره أبدا الان . وعدا عن ذلك ، لم تكن تتكلم عن أي شيء آخر ، إذ كفت عن قراءة رسائل مايك أثناء الفطور ، أو التحدث عن مشاريعها للزواج ، المقرر قرابة عيد الفصح . وحين اقترحت كلير أن تتخذا تدابير جدية ، انفعلت لوسي ورفضت مناقشة الامر . حتى أن والدها لاحظ هدوء لوسي الشديد وانطواها على نفسها ، وتمتنم وهو يعبس بقلق : " إنها شاحبة أيضاً . هل تظنين أنها تعمل بجد ؟ إنها تمضي ساعات اضافية كثيرة جداً من أجل هذا

"
المهرجان "

فوافقت كلير :

" لعل هذا هو ما في الامر . سأتكلم معها "

وفي صباح اليوم التالي ، وفيما هما على مائدة

الفطور، رفع روبن نظره عن المجلة التي يقرأها ، و هاتف

بحماس:

" اسمعوا ! يقال هنا ان دنزل سيصور فيلماً في انكلترا

لاحقاً في هذه السنة، مما يفسر سكنه هنا ! "

فسائل أبوه:

" أية حديثون عن موضوع الفيلم "

رد روبن:

" أنها رواية لفرد من عائلة برونتي ، لم أسمع بها من

قبل ، وتدعى "أجير القصر الميت"

" هل تعرفينها يا لوسي ؟

"نعم، لقد كتبتها آن وهي الاخت الثالثة ومازالت

على قيد الحياة. وتدور أحداث الرواية حول امرأة

متزوجة تهرب من زوجها الشمل.

ولم تكلف لوسي نفسها عناء اشاحة نظرها عن الرسالة

التي تقرأها. فارتاحت كلير وهينري أنها فقدت كل

اهتمامها في دنزل بلاك ، وأنها استعادت القليل من

اللون هذا الصباح، فيما اكتسب خداتها هذا الاحمرار

الصحي . ومن يدرى لعله ما من داعي للقلق عليها.

وبعد عشر دقائق ، وفيما كانوا يستعدون للرحيل

، ذكرتها لوسي:

" سآخذ سيارتي الى الكاراج. فهل يمكنك أن تتبعيني

الى هناك ، ثم تصحبيني الى المدرسة؟ "

-حسناً، ولكنني سأوصل روبن وجاميي أولاً ثم اراك في

الكاراج.

وستنتهز الفرصة التي انتظرتها كي تتكلم مع لوسي
وزاد ذلك التصميم فيها حين وصلت الى
الكاراج، ورأت ان الا حمرار على وجه لوسي قد اختفى
ليترك مكانه للشحوب مجدداً.

لكن ما ان فتحت كلير فمها حتى تكہنت
بالموضوع، وهتفت :

"انا بخير تماماً، وليس بي من سوء. فكفي عن انتقادي"
فتراجعت كلير برد فعلها، ثم قالت وهي تخفف عنها :
"أنا لا انتقدك يا لوسي . ولكنني وأبي قلقان
عليك. فأنت تجهدين نفسك بالعمل ، وقد ظهرت
عليك عوارض المرض. تذكري ان زواجك ليس بعيد "

التفت لوسي اليها وهي تكاد تصرخ ، فيما احتد

وجهها وارتسمت العدائية في عينيها المتألقتين.

" أنا بخير ، بخير تماماً . فدعيني وشأني ! "

كانت كلير من الصدمة بحيث قادت بصمت حتى بلغت المدرسة الابتدائية حيث تعلم لوسي . ومالمشت أن توقفت ، فخرجت لوسي من السيارة وصفقت الباب ومضت من غير سلام أو شكر .

ما بالها بحق السماء ؟ و أوشكت تكلير على الانطلاق حين تقدمت المديرة وحيتها بحرارة .

" كيف حالك يا كلير . تبدين شاحبة قليلاً ، كحال لوسي مؤخراً . لكنها تعمل بجد استعداداً للمهرجان . اليس من المثير ان تتمكن من الحصول على مساعدة دنزل بلاك ؟ فكرم منه أن يوفر لنا وقته ، لا سيما انه

رجل مشهور !

وأحسـت كـلـير بـنـفـسـها تـخـدـر مـن الصـدـمة ، لـكـنـها
تـصـنـعـت اـجـابـة مـهـذـبـة ، قـبـل ان تـبـتـعـد بـالـسـيـارـة
بـتـمـهـل . إـذـا ، هـذـا هـو السـبـب . لـا عـجـب أـن لـوـسـي بـاتـت
شـاحـبـة وـمـتـوـرـة الـاعـصـاب ، فـهـذـا مـصـيـر نـسـائـه
وـتـعـرـفـت كـلـير عـلـى عـوـارـض مـرـض هـيـلـين نـفـسـها ، اـضـافـة
إـلـى النـجـمـة التـي مـثـلت في فـيـلـمـه الـآـخـيـر . كـمـا فـكـرـت
في وـجـه هـيـلـين يـوـم أـغـمـي عـلـيـهـا في الشـارـع ، مـن
الـشـحـوب وـخـطـوـط التـعـب إـلـى سـوـاد العـيـنـيـن وـالـظـلـالـ
حـوـلـهـما . وـهـذـا الصـبـاح ، حـيـن تـكـلـم روـبـن عن الاـشـاعـة
التـي تـدـور حـول فـيـلـم دـنـزـل الجـديـد ، كـيـف لم تـشـكـ في
تـصـرـفـات لـوـسـي الفـظـة ، وـلـا مـبـالـاتـها الـظـاهـرـة بـعـد أـن
كـانـت اـسـيـرـة سـحـرـ كلـ ماـيـتـعـلـقـ بـه ؟ وـتـذـكـرـت كـلـيرـ انـ
لوـسـيـ نـورـدتـ فـعـلـاً ، رـغـمـ أـنـهاـ لمـ تـرـفـعـ رـأـسـهاـ . فـقـدـ
لـاحـظـتـ اللـونـ عـلـى خـدـيهـاـ ، وـلـكـنـ بلـغـ بـهـاـ الغـباءـ حـدـاًـ

ظننت معه أنها أفضل حالاً. وعليها أن تلعن نفسها لأنها لم ترى الحقيقة. وبدأت تجمع تدريجياً قطع الأحجية الصغيرة، فأخذتها تقابل دنزل بلاك سراً في الامسيات التي تتظاهر فيها بالعمل بالمدرسة حتى ساعة متأخرة. وهي لاتشك في أن لوسي كانت تعمل لساعة أو ما يزيد، لكنها كانت لا تلبث أن تتسلل مع دنزل بلاك.

وغضت كلير على شفتها السفلية، وفكرت والشرر يتطاير من عينيها: "اللعنة عليه!" لم لا يتركها وشأنها؟ فهي مازالت صغيرة، ولا تتمتع بخبرة حقيقية في الحياة خارج هذا المكان المنعزل المسالم.

ولم تكن كلير مشغولة هذا الصباح، فامضت جزءاً كبيراً من وقتها وهي تحدق في الفراغ، مكتبة. ماذا

عليها ان تفعل؟ لا يمكن أن تدع لوسي تحطم حياتها . فقد تفسخ خطوبتها ، وتنتحل عن عملها ، ولكن ماذا تفعل حين يمل منها دنزل بلاك، كما توقعت كلير أن يفعل، ماذا قد يحدث للوسي حين تنتهي العلاقة ، فتواجه الواقع مجدداً، ومعه كل تلك العواقب الوخيمة لعملها؟ وفكرت كلير بمرارة:

"لن يفعل ذلك بأختي ! لن أكتفي بمراقبتها وهي تدمر حياتها . علي أن أوقفها عند حدتها ، لكن كيف؟ " وعند الواحدة ، خرجت لتناول طعام الغداء . وفي طريقها الى مطعمها المفضل ، رأت دنزل يسرع الخطى على الرصيف الثاني ، ومعطفه الاسود الطويل تتلاعب به الريح ، فأحسست بقلبها يكاد يتوقف عن跳动 the heart . سبق ان لحته بضع مرات خلال الاسابيع الماضية من بعيد . وفي كل مرة وفي كل مرة ينتابها هذا الاحساس

المقلق الذي يقارب الرعب، لكن احساساً آخر تغلغل
فيها بقوة ،رغم أنها رفضت أن تواجهه، أو حتى أن
تقر بوجوده.

وخفف دنزل من سرعته ثم التفت ليعبر الشارع، فما
كان من كlier إلا أن تسللت إلى المتجر الأقرب
لتحتبيء فيه.

فسألتها المرأة خلف المنضدة : " هل لي بمساعدتك؟ "
نظرت إليها كlier بارتياك وهي لا تعرف نوع البضاعة
التي يبيعها المحل، واضطررت إلى اجالة النظر حولها، قبل
ان تجيب :

" آه، أود ثلاثة حبات من البرتقال اذا سمحتِ"
ومالت أن تركت المتجر بمحذر، وهي تختلس النظر من
جانب إلى آخر . لكنها لم تقع على أي اثر لدنزل

بلاك. وبدلاً منه، وقعت على هيلين، وهي تبدو سمراء مشرقية.

حيتها هيلين بابتسامة: " مرحباً كلير، كيف حالك؟ " فأجابتها بصوت أحش، وهي ما زالت تحاذر من ظهور دنزل. ثم لاحظت مظهر هيلين وعلقت: " تبدين رائعة. أعدت لتوك من ما يوركا؟ "

" نعم منذ يومين . لقد عدت وبول لنعيد افتتاح الفندق في موسم الربيع. "

وعلا أحمرار طفيف وجهها الاسمر، ثم قالت على عجل وبقدر من الخجل:

" سنتزوج مجدداً يا كلير "

ولم تكن تلك مفاجأة بالنسبة الى كلير، فاهتمام بول بـ هيلين ، واصراره على ان تسافر معه الى ما يوركا اوضح للجميع أنه ما زال يحبها.

" هذا رائع هيلين؟ لا عجب أنك تبدين بهذه السعادة "

، بالمقارنة مع حالك قبل الميلاد ومرضك حينها . اما

الآن ، فأنت امرأة مختلفة ! "

" مرضي هو ما جمعنا مجدداً . أتعرفين؟ ان لم تتصلني به

حينها ، لما عدنا الى بعضنا مجدداً . "

فاحتاجت كلير :

" بل أنا متأكدة من أنكمما كنتما ستجتمعان عاجلاً أم

آجلاً . "

" لست ادرى . فكلانا عنيد ، ومتكبر جداً . وانا ادين

لك يا كلير ! ستأتين الى زفافنا ، اليis كذلك؟ سيكون

حفلأً صغيراً ، خلال شهر تقريباً . وهو عرس بسيط بلا

هرج ومرج ، يضم العائلة وبعض الاصدقاء ، وسيقام في

الفندق . "

" أود ذلك ، واشكرك على دعوتي . "

وبعد ان اخذت كلير نفسها، اختلست كلير نظرة سريعة على طول "هاري ستريت"، لتأكد من أن دنزل بلاك غير قريب. ثم سالت بلا مبالاة:

" بالمناسبة، اما زال دنزل بلاك زبونك؟ "

فتبدل وجه هيلين، وارتسمت عليه تقطيبة، قبل ان تجيب:

" كلا جوني برترشارد يتولى اعماله، ألا تذكرين؟ لماذا؟ "

" لقد استأجر منا كوخاً، بانتظار انتهاء الاعمال في "البحيرة السوداء" و كنت أتساءل اذا عدت الى تمثيله

بعد ما تحسنت حالك الان؟ "

فاجابت هيلين بجفاء: " كلا "

وقررت كلير ان تجازف وتكون صادقه معها :

" هيلين ،انا قلقة على لوسي...لقد اكتشفت لتوي
انها تقابلها،سراً ! "

فنظرت اليها هيلين بحدة واتسعت عيناهَا خوفاً:

"لوسي؟ و لكن ،أليست مخطوبة؟ "

" نعم الى شاب لطيف جداً،يسكن في افريقيا في
الوقت الحالي. وهي لم تره منذ تسعه اشهر،لذا فهي
تشعر بالملل والوحدة . ومنذ ان تعرفت الى دنzel بلاك

" وهي اسيرة سحره . "

فغضت هيلين على شفتيها :

" اذاً، انت محقه في قلقك عليها. فهو يثير المشاكل
للنساء "

وملا ازداد احمرارها ،نظرت الى كلير بتكتسيرة، واضافت

:

" على ان اعترف أنني فقد عقلي بسببه. فقد كان الحزن على بول يتملكني عندما التقى به. ولم أظن ان شعوري قد يزداد سواءً، لكنني كنت مخطئة. وبدأت أ وعد دنزل ، حتى تعلقت به لدرجة الهوس. وكان محظي كيري كله ، فإن لم أره ، ابيت حزينة وان رايته، يسيطر علي الانفعال "

بدت كلير شاحبة ومنزعجة ، وتمتمت : " تلك هي حال لوسي مؤخراً. كنت أظنها ترها نفسها في العمل ، اذ توقفت عن الكلام ، الا عندما ثور غضباً لتفاهات . وهي بالكاد تأكل ، وتعاني دواراً معظم الوقت ، كما أنها تبدو كالأشباح "

فعبست هيلين :

" يا للمسكينة لوسي. أنا آسفة لا جلها. وانا اعرف شعورها ، لأنني عشتـه . ياهـي كـم اـشعر بالـغباء ما ان

تغلبت على احساسي هذا! وانا لا افهم كيف
وصلت نفسي الى تلك الحاله من اجل هذا الرجل. "

فأجابت كلير :

" اظنك كنت ، كما قلتمن قبل ، سريعة التأثر ، بسبب

" بول "

وأومأت هيلين:

" نعم. لقد التقى بدنزل ، وكان لطيفاً ومتفهمأً "

ولما لاحظت السخرية على ملامح كلير ، توقفت عن
الكلام ، ثم عادت وأضافت

" لا ، كان على هذه الصوره حقاً! بدا مسانداً

ومتعاطفاً جداً. أما أنا فكنت ابحث عن شيء ، اي
شيء ليمنعني من التفكير في بول .لذا تعليقت بدنزل
بلاك. أظنهم يسمون الحالة "تحويل" فأنت تحولين

شعورك من رجل الى اخر حاول ان يساعدك على
" تخطي الاول "

ثم ضحكت بحدة ، وتابعت :

" لكن ذلك لا يساعد ايضاً . وبطريقة ما يزيد الطين
بلة ، فقد توقفت عن الأكل والنوم ، ولم استطع
التفكير الا فيه . ولا عجب انني اصبت بانهيار عصبي
في النهاية . ولكن ، ما ان عدت الى بول ، حتى ادركت
أن علاقتي بدنزل كلها هراء ليس الا . فلم أكن مرة
مغرمة به ، وهو بكل بساطة ، كان يتسلى معي "
وانعصر صوتها ووجهها وهي تردد :
" انه رجل معقد تماماً ، يتلاعب بالناس ولا سيما
النساء . "

راحت كلير تنصت بانتباه، وهي تراقبها بعزم من الشفقة والرعب وفروع الصبر . وأضافت هيلين

باختصار :

"لوسي صغيرة في السن ولن تجيد التعامل معه ، يا كلير قد ينづف جرحها بشدة، إت أخذت ألاعيبه على "حمل الجد "

فردت كلير ببطء :

"اعرف . وهذا ما يخيفني . فأنا لا اعرف كيف أوقفها وهو لن ينصت الي، كما لن تفعل لوسي "

"الا تستطعين اقناع مايك بالمجيء قبل الوقت المحدد وتقديم موعد الزواج؟"

لمعت عينا كلير وأجاابت :

"هذه فكرة! وانا متأكدة من أن لوسي ما زالت تحبه"

"

فمنحته هيلين ابتسامه :

" حسناً، امل ان ينجح ذلك، فانا أحب لوسي. والآن ، آسفه علي الاسراع ، مازال أمامي الكثير من العمل اليوم سأرسل إليك دعوة للزفاف ، ما ان تجهز البطاقات . اراك قريباً يا كلير "

وفي ذلك المساء ، وفيما كان الجميع الى مائدة العشاء ، سألت كلير لوسي بلهجة عاديه:

" متى سيعود مايك بالتحديد؟ ألا يجدر بنا الاعداد للزفاف قريباً؟ "

بدا وجه لوسي كبياض الثلج ، ثم ثمت من غير أن ترفع رأسها :

" مايك لن يعود "

رفع الجميع رؤوسهم ، وراحوا ينظرون اليها بحده . اما كلير فسألت وقد بدت متفاجئة وغير مصدقة:

"لن يعود؟"

"لقد عرض عليه عقد عمل لثلاث سنوات ، ويريد أن يقبله. ولا ينوي أن ينوي أن يعود مجدداً حتى تنتهي مدة العقد."

بذا صوت لوسي مرتجفاً، عالياً وحاداً، أما شفتاها الشاحبتان فارتعشتا وهي تتكلم.

"ولكن ماذا سيحدث بشأن الزواج. هل سيؤجله، أم...؟"

"لقد طلب مني أن أطير إلى إفريقيا، كي نتزوج هناك."

وانفعلت لوسي بغضب وهي تتتابع:

"لن يحضر الزفاف أي من أصدقائي . وحتى لو تمكنتم من دفع مصاريف الذهاب واللياب ، لن يكون زفافاً

حقيقياً! وانا التي لطاما خططت لزواجي في كنيستنا مع الشبينتي وباقه أزهار فيما الة الارغن تعزف و..."

وفجأة ،ابعدت كرسيها ،ونهضت والغصة في حلتها

،ثم اكملت :

" في الواقع ،لن ارضى باحتفال سريع في مكان غريب ، من دون وجود احد تقريباً. لذا ،يمكنه أن

ينسى الامر ! "

ولما هرولت خارج الغرفة ، اطلق روبن

صفيراً عالياً، ووجهه كئيب:

" الى متى ستبقى شعاع الشمس الذي ينير المنزل؟ لم لا يستطيع مايك أن يعود ويتزوجها بكل بساطة، ثم

يخبرها عن أفريقيا؟ "

وتبادلـت كلـير ووالـدها النـظـرات.

" الان عرفنا لم تتصرف بغرابة مؤخراً يا كلـير ! "

"أldيـك عنوان ماـيك في أـفريـقيـا يـا أـبي؟ لا بد ان

لـديـهـم هـاتـفاً في تـلـك الـكـلـيـةـ. لـعـلـنـا نـقـنـعـهـ بـالـعـودـةـ

لـلـزـواـجـ. "

"قد نـسـتـطـيعـ ذـلـكـ فـعـلـاًـ. وـلـكـ ، حـتـىـ لوـ فـعـلـنـاـ

، اـسـاءـلـ انـ كـانـتـ لـوـسـيـ تـوـدـ العـيـشـ فيـ اـفـرـيـقيـاـ بـعـدـ

ذـلـكـ. "

وـماـ انـ سـمعـتـ صـوتـ اـبـيـهاـ الرـقـيقـ حـتـىـ عـبـسـتـ

وـقـالـتـ:

"أـفـهـمـ شـعـورـهـاـ بـالـخـدـاعـ لـأـنـهـاـ لـنـ تـحـصـلـ عـلـىـ هـذـاـ الـذـيـ

لـطـالـمـاـ حـلـمـتـ بـهـ يـاـ أـبـيـ؟ـ فـلـطـالـمـاـ كـانـتـ لـوـسـيـ فـتـاةـ

رـوـمـانـسـيـةـ. وـلـاـ أـظـنـهـاـ عـنـتـ أـنـهـاـ لـاـ تـرـيدـ العـيـشـ فيـ اـفـرـيـقيـاـ

، بـلـ تـرـيدـ زـفـافـ أـحـلـامـهـاـ أـولـاًـ"

تـكـتمـ جـورـجـ سـامـرـ بـجـفـاءـ:

" أتساءل عن ذلك . أظن أن لوسي تبدي ردة فعل ازاء اي تغيير من أي نوع . فهي لم تعيش يوماً في مكان غير هذا، ولا تريده ذلك أيضاً. اخشى أنها مازالت تتصرف كالاطفال . والا ، لقبلت قراره من دون ان تنتابها نوبة الغضب هذه، هذا اذا كانت تحبه، وتحترم " خياراته "

ثم هز رأسه وتنهد قبل ان يردف :
" كلا يا كلير ، لا اعتقاد أنه يجب ان نتدخل . فهذا الامر يعنيهما . ومن الواضح أن مايك وجد المكان الذي يحبه ، ويريد العيش فيه ، كما وجد عملاً يرغب في ممارسته ، وعلى لوسي ان تواجه هذا الواقع .اما ان ارادت التحدث الى احد ، فتحدثي اليها ودعها تفهم أن الحياة لا تعني ان ينفذ الناس مشيئتها ، ويسلموها لها دائمًا . والزواج خاصة، ينص على التسوية، فيتوافق

الشخصان على الامور بالتساوي. وبصراحة، اظن أن

"لوسي قد نضجت بما يكفي لتفهم هذا"

فأجابت كلينر بقدر من السخرية:

"ربما الخطأ خطئنا، لعلنا أفرطنا في تدليلها"

وعلق روبن وهو يضحك:

"لا شك في هذا. فلوسي فتاة لطيفة، لكنها اعتادت

على العيش وفق طريقتها الخاصة، ولا مجال لأنكار

ذلك. ولطالما تساءلت كيف عساهما تعتمد على الحياة

الزوجيه. فكما تعلمانت، مايك ليس برجل يسهل

التغلب عليه، وهو لن يسمح لها ان تسيطر عليه كما

تفعل معك ومع أبي."

ضحكت كلينري امامه، لكنها، في سرها، ادركت ان

كلامه وكلام والدها ينطوي على قدر من الحقيقة. ومع

أن لوسي فتاة مدللة، الا أن ذلك لم يمنع كلينر من

القلق من علاقتها من دنزل بلاك. في الواقع ، اشتد
قلقها الان. فمن الواضح أن لوسي باتت أكثر
حساسية في الوقت الحالي. ولا بد أن دنزل بلاك تكن
من الاقتراب منها بهذه الطريقة أما السؤال ، فإلى أي
مدى لوسي متورطة معه؟ أهو يساعدها في أزمة
فحسب، أم أن في المسألة أكثر من هذا؟

لاحقاً، كانت نتظف مائدة الطعام ، حين تناهت إليها
خطوات لوسي في الرواق، وهي تتجه نحو الباب ،
فسارعت لتعترضها. لكن لوسي نظرت إليها بتحد،
وعيناهَا حمراوان عند حافتهما، بشكل يثير الشك.

 " أنا خارجة ! "

 " في هذه الساعة؟ أنها تقارب التاسعه ! "

 " لست بطفلة ! فكفي عن معاملتي هكذا ! "

شعرت كلين برغبه في صفعها ، لكنها نجحت في التحكم بأعصابها بعد جهد.

وأضافت لوسي بسرعه وكأنها قرأت تعابيرها:

" سألتني أحدهم من أجل مهرجان المدرسة "

فسألتها كلين بحده :

" أهو دنزل بلاك؟ "

وسرعان ماملعت عيناً لوسي بخوف، وسألتها: " ماذا؟ "

في الواقع، ارادت لوسي ان تستغل عامل الوقت لمصلحتها ، وان تتبين كم من المعلومات التي تعرفها كلين ، والكم الذي معرفته ،لترى كيف يمكنها أن

ترضيها. وأعلنت كلين بنبرة هادئة:

" اعرف انك تقابلينه ،وانه يساعدك في المهرجان . فقد

اخبرتني مديرتك كل شيء... لم لم تذكرني لي الامر؟ لم

تخبريني مرة أنك ترينـه مجددـاً "

فلوت لوسي فمها ، وردة :

" عرفت كيف ستكون ردة فعلك . لقد أوضحت لي أنك لا تريدين مني مقابلته مجدداً ، ولم أكن أرغب في

" مجادلتك في الموضوع "

عندئذ ، انبتها كلير :

" لم اظن أنك ستكونين بهذه السرية ، منذ متى وانت

" تقابلينه ؟ "

فأجابت بعبوس :

" لقد صادفته في البلدة في نهاية أحد الاسابيع "

، وخبرته عن المهرجان ، وحين قلت له اني احتاج الى بعض النصائح عن المسرح ، ابدى لطفاً غامراً ، وعرض

" مساعدته "

هتفت كلير بخفاء :

" بل صادف أنك طلبت منه المساعدة . "

عندما نظرت إليها لوسي بغضب:

"حسناً، ربما كنت واضحة. لكن لم استطع تفويت هذه الفرصة. لقد تحمس جميع من في المدرسة، وأظن أن دنزل يستمتع بوقته أيضاً. فهو مهم فعلاً، وقد اقترح العديد من الافكار الجيدة . كما يتعامل مع العمل باحتراف ، وليس ك مجرد مجهود مدرسي يقوم به بضعة هواه..."

قاطعتها كلير وهي تقطب جبينها :

"أشك في أن شخص مثله سيهتم بما يظنه عمل هواة . فهو محترف مهم، ولم يكن يحق لك أن تطلبي منه ذلك..."

فردت لوسي بحدة:

" كان باستطاعته ، ان يتذرع بعمله ، لكنه لم يفعل
واظن انه يستمتع بوقته. واعرف أن الاطفال يعشقونه

"

ثم حدق في كلير وأكملت :

" وانا كذلك! اليس هذا ماتودين معرفته؟ أنت تشکین
في أنني مغرمه به، هذا واضح تماماً. ماذا يجري؟ هذا هو
السؤال الذي تحرقين الى طرحة ، فأنا أعرفك

جيداً. انه لا يحاول إغوايي ، بل هو في غاية اللطف

" والود ، ويراعي مشاعري "

فأجابت كلير وقد استحالت عيناهما داكنتين غضباً :

" يمكنني تصور ذلك "

" بل لا يمكنك ! فأنت تفتقرين الى أي مخيلة . ولا
تملكين الا سوء التفكير . في الواقع ، كنت بحاجة الى
انسان أحادثه ، فأخبرته مشاكله ، وأنصت اليه . وكان

هذا كل ماحتج له .. إنسان يستمع الى شكواي ، ويهتم

بـ "بي ، وياخذني على محمل الجد "

فهتفت كلين بغضب:

" ما كان ينبغي أن تتحدثي إليه، بل الى مايك ! "

" مانفع التحدث الى مايك وقد اتخذ قراراً بشأن

حياته، ولم يكلف نفسه عناء سؤالي عن الحياة التي أريد؟ اتضح لي أن ما من صفة مشتركة بيننا بعد الان.

أصيّبت كلين بالرعب، وما كان منها الا أن رمقتها

بنظرة غريبة، فالوضع أشد سوءاً مما كانت تظن.

" لوسي ، أنت تحبين مايك ، فأنت مخطوبة اليه منذ

أشهر . على الأقل ، تكلمي معه في الموضوع.

لا يمكنك الاكتفاء بالرحيل . ألا يستحق منك هذا ؟

كيف له ان يدرك شعورك إن لم تخبريه به ؟ "

" استطاع دنzel أن يتفهمني ، فلم لا يتمكن مايك من ذلك؟ "

" لا يسدي اليك دنzel أي معروف ، بتشجيعك على التحدث اليه عوضاً عن الرجل الذي يفترض أنك ستتزوجينه. لوسي ، انه يسبب لك المشاكل ، فتوقعني عن مقابلته بكثرة. ستصبحين مثل هييلين قبل ان تنهار بسبب فقر الدم. "

ضحكـت لوسي بغضب وقالـت: " ولكنـي مصـابة بـفـقر الدـم ! ولا تـدخلـي هيـيلـين في المـوضـوع ! فـدـنـزـل لم يـتـسبـب بـعـرضـها ، بل لـطاـلـما كـانـت هي عـصـبيـة "

" هـذـا لـيـس صـحـيـحاً . كـانـت هيـيلـين دـائـماً مـلـيـئـة بالـسـعادـة وـالـحـيـوـيـة حـتـى التـقـت بـدـنـزـل بلاـك . "

فترددـت لوـسـي قـبـل ان تـقـول بنـزـق:

"علي اي حال، ما علاقة كل هذا بي؟ لقد عادت الى بول الان، وبدت لي بحال جيدة في المرة الاخيرة التي رأيتها فيها "

نهدت كلير، وهي عاجزة عن إنكار أن هيلين تغلبت الان على دنزل. لكنها لم تشا الاستسلام.

"لوسي، لم لا تتصلين بمايك، وتتحدين اليه صراحة؟ سأدفع ثمن المكالمة. فاتصلي به الان، هذه الليلة."

بدت بشرة لوسي شاحبة للغاية، وارتعدت شفتها وهي تقول:

"لا، لا أريد التحدث اليه. لقد انتهي مابيننا. وأرسل له خاتمه. اسمعي ، علي الذهاب . قلت

لدنزل إني سأصل عند التاسعه، وقد تأخرت "

سألتها كلير وقد عيل صبرها :

"لم ألح عليك لرؤيتك الليلة بشأن المهرجان؟"

فنظرت اليها لوسي بعيني لامعتين جامحتين، واجابت :

" حسناً لا يتعلق لقاونا بالمهرجان. بل أريد رؤيته "

وحسب "

واذا بيد جليدية تعصر قلب كلير، فرجتها وهي تحاول

أن تمسكها :

" لوسي ،لاتذهبي. انه خطر عليك، الا تفهمين ذلك؟ "

أنظري الى نفسك بحق السماء، تبدين رهيبة ! "

فدفعتها لوسي عنها بقوة :

" ليس هذا رأي دنzel! انه يقول إن وجهي ملائم

للتصوير . واسمعي هذا ! يريد أن يخضعني لتجربة فيلم،

وسيضمني الى فريق فيلمه الجديد

5 – قانون كلير

في تلك الليلة تقلبت كلير في فراشها . فكيف يمكنها النوم، وأختها توشك ان تدمر حياتها بنفسها؟

وحين اخبرتها لوسي عن تجربة الفيلم، ودورها في فيلم دنزل بلاك الجديد، ارتكبت كلير خطأ الصراح

بغضب:

" أنت لا تعتقدين أنه جاد في قول؟ "

" يقول لي العديد من الناس انه يجدر بي التمثيل؟ " ثم اشاحت عنها بغضب مماثل ، وأخذت تتأمل انعكاسها في المرأة الجدارية بتمعن طويلا . فما كان من كلير الا ان ضحكت من غرور اختها السخيف ثم عمدت الى مضايقتها:

"أنت تقصددين العديد من الرجال الذين يرغبون في مواعيدهك أليس كذلك؟ "

وبالطبع، تلقت نظرة غاضبة من لوسي التي دمدمت بحدة:

"لكن دنزل يعني ما يقول . وهو لا يتبرج! سأخضع لتجربة الفيلم يوم السبت ، فتقبلي هذا الواقع ! " سكتت كلير، وقد علت الصدمة وجهها ، مما دفع لوسي الى رسم ابتسامة ظافرة صغيرة على محياها، وقد اسعدتها ردة فعل اختها . وانياً، أضافت بعنف: " ولا تظني أن بإمكانك ردعي. فهذه حياتي ، وليست حياتك . لم أعد طفلة بعد الان ، لذا توقفي عن التدخل "

لكن كيف باستطاعة كلير أن تفعل هذا؟ فمنذ وفاة والدتها ، وكلير مسؤولة عن لوسي والصبيين. أما

جورج سامر ، فكان والدًا عطوفاً، لكنه تقليدي في تفكيره، وقد نسأ مؤمنا أنه من واجب المرأة أن تربى الأولاد وتدبر شؤون المنزل .لذا ، عندما ماتت زوجته ، ترك هذا الدور لابنته الكبرى من غير أن يعيد التفكير في ذلك. وهي نفسها لم تحاول أن تتملص مما اعتبرته واجبها. وكان بقية الأولاد في ذلك الوقت بحاجة إلى حنان الأم ورقابتها ورعايتها .ولم تكن المهمة سهلة على كلير ، إلا أنها بذلك مابوسعها. ولو كانت حرمة للتصرف على هواها ، فتخرج كل ليلة ، وتعيش لنفسها وتستمتع بوقتها ، لا أصبحت حياتها مختلفة تماماً. ومع مرور السنوات .بدأت العلاقات التي تبنيها تذبل ثم تموت ، لاسيما مع افتقارها لوقت الفراغ. فقد توقع منها الرجال أن توفر ولو قليلاً من الوقت لهم. ولم يشاؤوا أن يصطفوا من أجل الحصول على قدر من

اهتمامها، ولا يرغبون في منافسة صبي يعاني من الحصبة، او والد مصاب بالانفلونزا ويحتاج الى رعاية دائمة. وهكذا ، استسلم اشد الرجال صبراً، ورحلوا عن حياتها.

أما من ناحيتها ، فلم تكن جدية بشأن اي منهم باستثناء هال طبعاً. وحين تستعيد ذكرى هذه العلاقة، تدرك أنها لم تعره كل اهتمامها يوماً. لذا ربما لم يكن مخطئاً كلياً في ما أقدم عليه، فهي كانت من الانغماس في رعاية عائلتها بحيث لم تشا أن تقع في الحب. وربما باتت هذه عادة ، ولعل لوسي محققة ، فهي فعلاً تحاول إدارة حياتها عنها. ولكن حين تراها متوجهة نحو الخطر مباشرة ، كيف يسعها أن تكتفي بالتفرج ، وتدعها تضي نحو مصيرها؟

وبعدما امضت ليلة قلقة ، نهضت من فراشها ، شاحبة الوجه، ولا شهية لها للافطار . وحين القت نظرة على نفسها في المرأة ، تعرفت بحزن الى عوارض ضحايا دنزل بلاك ، وقد بدأت تبدو على محياتها . وسرعان ما سرت فيها قشعريره . فما الذي دفعها الى هذا التفكير بحق السماء؟ لن يحدث لها هذا أبداً! لاسيما انها تعرفه تماماً، فرجل كدنزل بلاك لا يقوم بألاغييه في وضح النهار ، بل يتخذ ضياء القمر والموسيقى الرومانسية حليةين له، ويستهدف دائماً نساء كهيلين ولوسي، أي نساء حزینات ، وحيدات ، يتقن الى القليل من الرومانسية. لكنه، لن ينجح في مبتغاه ، على الاقل ، ليس مع لوسي . وقررت كلير بعزم ان تنفذ اختها، حتى ولو لم تشا

لوسي ذلك . قد تكون المرة الاخيرة ، ولكن كلير لن تتنحى جانباً، وتشاهد أختها وهي تدمي حياتها ، لاسيما حين يكون باستطاعتها أن تضع حدأً لما يجري .

و باشرت أولى خطواتها في الصباح حيث اتصلت بマイك في دار المعلمين و بدت في صوته نبرة كئيبة : " اتصلين بي لتخبريني أن لوسي التقت بشخص آخر ؟ "

" فتفاجأت كلير : " ما الذي يجعلك تعتقد .. "

ولكنه قاطعها :

" لست غبياً واستطيع أن أقرأ ما بين سطور رسائلها .

" فقد تغيرت في الاشهر القليلة الماضية "

" مایك انها غاضبة منك كثيراً، وما من شخص آخر في حياتها . كانت تحرق شوقاً الى يوم زفافها منذ مدة

طويلة ، ولعلك أنت لا تدرك كم تهتم المرأة بهذه المسائل.

كانت تتكلم في سرعة ، وتحتصر في شرحها ، وهي تحاول أن تقنعه بوجهة نظر لوسي . وحين توقفت ، قال مايك وقد فرغ صبره:

" لكنني إذا عدت إلى المنزل لاسبوع قليلة بهدف الزواج وقضاء شهر العسل ، فسيكلفني ذلك مالاً كثيراً . ظنت أنه من الأفضل أن نتخلى عن حفل زفاف مكلف ، إضافة إلى رحلتي إلى الوطن ، وبدلًا من ذلك ، نستخدم هذا المال لشراء معدات لمنزلنا الجديد هنا . بدا لي هذا منطقياً أكثر .

فخففت عنه كلير بلطف : " أنت حق طبعاً .. لكن ، يا مايك ... لوسي فتاة رومانية ، وقلبها يحلم بزفاف أبيض ، مع عائلتها وكل

أصدقائها، في الكنيسة التي عرفتها طيلة حياتها. وتلك هي طريقتها في بداية حياتها معك. هكذا يعمل ذهنها، يا مايك ، وهي تهتم كثيراً بالعائلة والتقاليد. وحتى في صغرها ، كانت تحب أن تُروي لها القصص قبل النوم بالطريقة نفسها كل مرة . وهي تكره التغيير الذي يطرأ على روتينها ، وتملك عقلاً تقليدياً جداً " ثم توقفت قليلاً، وأردفت بنعومه :

" أليس هذا ما أحببته فيها؟ "

صمت مايك قليلاً، ثم سألهما باختصار:

" أظنين أنه علي أن استسلم لرغباتها ، فأوافق على

" عرس أبيض كبير في الوطن؟ "

" أنا متأكد من أن لوسي تحبك يا مايك ، وإن الحزن سيتملّكها إن خسرتك . اسمع لدى فكرة ، مارأيك في أن تسافر لوسي إليك في الحال ، فتشاهد بنفسها أين

ستعيشان معاً، وما أن مدرستها تغلق أبوابها لعطلة قصيرة من ابتداءً من يوم الجمعة، يمكنها أن تقضي معك أسبوعاً.

أجفل مايك وقال:

"سيكون هذا رائعاً، لكن ... تعرفين أن بطاقة السفر غالبة الشمن، وأني لا أملك مالاً كثيراً"

"سأدفع ثنها، فتكون جزءاً من هديتي لزواجه كما لكنني أريد التأكد من إنك ستلاقيها في المطار وتعتني بها."

"طبعاً سأفعل ذلك! لا تقلقي!"

ولما شرع الحماس يتغلغل في صوته، ابتسمت كلير.

"أيمكنك ان تحجز لها في فندق بالقرب منك؟"

"قرب دار المعلمين فندق يقيم فيه أهالي الطلاب

"حين يزورون أبناءهم ."

ثم سكن قليلاً، قبل ان يتابع برب:

"كثير، هل كلمتها بشأن هذه الفكرة؟ أعني، هل تريده أن تأتي؟ بامكانني ان أتصل بها، و... "

" لا ، لا تتصل بها يا مايك، فقد أرادت أن أكلمك أولاً، وأتأكد من أمكانيه تحقيق الفكرة . لكنني على يقين من أن لوسي ستسعد كثيراً. ولن افتحها في الموضوع قبل أن أتمكن من حجز بطاقة أفالجهها بها في الأسبوع. دع الامر لي. سأتصل بك مجدداً صباح الجمعة، لأعلمك بالتدابير التي تمكنت من تحضيرها. "

بدا من السهل على كثير أن تؤمن بطاقة سفر للوسي، لكن كان عليها القيام بتدابير أخرى قبل أن تفتح الموضوع مع أختها.

وفي وقت لاحق من ذاك العصر، قادت سيارتها الى البلدة المجاورة ، وأمضت بعض الوقت في متاجر

مختلفة. ومع أنه صعب عليها الحصول على ماتبحث عنه ، الا أنها تكنت في النهاية من تأمين كل شيء. ثم تركت مساعدتها الجديدة في المكتب ، وعادت إلى المنزل في وقت كانت متأكدة من أنه خال. فأبوها يمارس رياضة الغولف مع أصدقائه، والباقين لن يعودوا إلى المنزل طبعاً قبل انتهاء دوام المدرسة . وكان ذهن كلير عملياً جداً. وقد تلقت مختلف أنواع المعلومات المفيدة من أبيها وأخوتها على مر السنين . فقضت ساعات في مشغل جورج سامر، المزود بـ مختلف المعدات ، ثم نقلت ما حضرته إلى سيارتها، قبل وصول والدها ولوسي بقليل.

" لقد عدت إلى المنزل باكراً. " فابتسمت كلير لأبيها، وقالت :

" قررت التوقف عن العمل عند العصر ،لاسترخي
قليلًا. لكنني أعددت الطعام . ففي الفرن طبق ،
سأضيف اليه البطاطس. وسأعد لك كوبًاً من الشاي
، قبل ان تستحم "

جلس ابوها بسعادة ، وراح يخلع حذاءه المغطى بالوحل
، فيما هو يتحدث عن الغولف، بسحر المدمن الذي لا
يدرك ان لا يستمع الى كلامه. أما كلير ، فكانت
تنصت اليه تارة ، وتفكر في مخططاتها لهذا المساء فوراً.
وقد ولدت الاثارة فيها اضطراباً عكر صفو معدتها
، حتى بلغ اعصابها، وباتت تجد صعوبة في التركيز على
أي عمل آخر. وأخيراً، صعد جورج سامر الى الاعلى ،
وفي يده فنجان الشاي . فسألت كلير لوسى بصوت
جاهدت ليبدوا عادياً:

" ماذا تفعلين الليلة؟ أستخرجين مع دنزل بلاك

" محدداً؟ "

" كلا ، لقد قال دنزل إن لديه الكثير من الاعمال المكتبيه الليلة. كما انه سياوي الى الفراش باكراً لذا طلب مني أن أقضى مساءاً هادئاً بدوري فأسترخي ، وأنام جيداً بانتظار تجربة الغد. "

ثم تمنتت على عجل وهي شاحبة الوجه:
" يسهل عليه قول هذا. لكنني من الملل ، بحيث لا أقوى على الاسترخاء . أما عن النوم ، فأنا متأكده من أنه لن يغمض لي جفن الليلة "

وراحت كلير تراقبها وهي تطوف في المطبخ وكأنها تبحث عن شيء ما ، فتغير مكان بعض الاواني ، ثم تنظر من النافذه الى أزهار النرجس التي أزهرت في الحديقة.

"لم لا تذهبين الى السينما؟ لقد طلب مني جايسي أن آخذه الى هناك الليلة، ولكن لا أشعر برغبة في ذلك.

"

فأحسست لوسى بالاغراء، لكنها بدت مترددة .

" قال دنzel إنه يجدر بي ان ارتاح... ."

" لكن الذهاب الى السينما مريح. فكل ما ستفعلينه هو الجلوس في الظلام ومشاهدة فيلم.

" لكن دنzel قد يتصل بي بهدف الاطمئنان على."

فأجابت كلير بجفاء:

" سأخبره حينها أنك ترتاحين "

عندئذ ، ضحكت لوسى وقالت:

" لقد اقنعتني ! "

ولما كان أبوها وروبن مرتبطين مواعيد هذه الليلة، وجدت كلير نفسها وحيدة في المنزل عند السابعة

والنصف. وما أن حانت الساعه الثامنه الا ربعاً ، حتى انطلقت في طريقها الى كوخها.

وحين ركنت سيارتها في الخارج، رأت وجه دنزل يطل من النافذه العليا. كان الليل قد خيم ، فيما نور شحيح ينير غرفته، راسماً هالة حول رأسه . رأت عينيه تحدقان فيها، وفمه يلتوي بابتسامه مزعجه ، فأحسست برعشة تسري فيها.

كان يرتدي قميصاً حريراً أسود غير مزرر بإحكام ، أم تراه ثوب نومه؟ فتح النافذه ليتكلم معها ، فنفخت الريح في قميصه، حتى لحت تحت الرداء الناعم تفاصيل جسده المشدود. واذا بحلقها يجف ، فتبتلع ريقها بعصبية. حتى من تلك المسافة ، شعرت بذبذبات تتغلغل في جسدها ، فسرى دمها في أعضائها بسرعة ، وتدفقت موجات الخوف فيها في مد وجزر

متواлиين. وما كان منها الا ان اقنعت نفسها بأنه

الخوف على أختها ليس الا. وهي لا تخشى أبداً، و تستطيع التعامل معه . ثم ، أنها لا تخشى على نفسها أبداً. سألهما:

" هل تريدينني؟ "

ميزت بوضوح السخرية التي تنطوي عليها كلماته ، وشعرت ببشرتها تحرق . واخيراً . قالت ، وهي تختار

كلماتها بعناية: " أريد التكلم معك " فأعلن ، وذلك البريق الساحر لا يفارق عينيه

الدائنتين:

" كنت أتساءل متى سأسمع صوتك . وأيقنت أنني سأراك ما أن تكتشفين أنني اقتربت على لوسني أن تخضع لتجربة تلفزيونية . "

لكن كلير لم تجب ، فقد جعل التوتر أسنانها تصطك حتى آلما فكها. أنه لاذع حقاً، وهذا ما يضايقها . ان امكنه أن يتکهن بردة فعلها ، فهل عقدوره ان يعرف الى اي مدى ستصل لكي تحبط مخططاته بشأن لوسي؟

قالت وهي تتصنع البرودة:

" هل تعتقد أن بإمكانك النزول ؟ فأنا لا أريد أن

اصرخ لا بلغك كلامي "

" يا للأسف ، كنت افكر في رومانسية هذا المشهد . انه

مشهد الشرفة في مسرحية روميو وجولييت ، مع انقلاب الادوار ، اذ يحتل روميو الشرفة ، فيما تقف

جولييت تحت نافذته ."

فردت كلير بحدة :

" هلا تفضلت ونزلت ؟ "

ضحك وقال:

"لقد لاحظت قبلاً انك لا تملكون حس الدعاية
حسناً، كنت أقرأ في السرير، وأنا أرتدي البيجاما،
فأمهميليني كي أبدل ملابسي قبل ان أنزل، وان كنت
مازلت تملكون المفتاح تفضلي بالدخول "
وأغلق النافذة قبل ان تبدأ كلير بالرد :
"بدل ملابسك "
وماتت الكلمات على شفتيها . كان عليها أن
 تستجمع أنفاسها استعداداً لتنفيذ خطتها . ففي هذه
 الليله عليها ان تصفي ذهنا ، والاتدعه يفلت من
 يدها ، والا فعلى الدنيا السلام .
وفيما كانت تدخل الى الكوخ نزل دنزل السلام . بدا
 رائعاً في رداءه الاسود المنسوج من الساتان . وشعرت
 كلير بأنفاسها تنحبس في حنجرتها .

كانت عيناه الرماديتان تتفرسان فيها من رأسها الى
أحمر قدميها، حتى أحسست وكأنهما تركتا بصمات
على بشرتها. وما لبث أن سألاها:

"أتريدين شراباً؟"

كانت ترتد في كنزة زرقاء شاحبة من الانقره، ويحيط
بعنقها عقد من اللآلئ، فيما تنورتها الرمادية تماثل
السترة التي تلبسها لوناً. ولم تكلف نفسها عناء
تزييرها، فاجبو في الربع دافئ، وهي غالباً ماتتجول في
سيارتها. وهكذا ، كانت ملابسها دائماً كلاسيكيه
وبسيطة وانكليزية الطابع. ورغم ذلك حست أن
نظراته جردتها من ملابسها تقريباً، فارتعدت امتعاضاً.
ثم تذمرت وهي ترجو أن يقرأ العدائيه في عينيها :
"لا، شكراً"

لكن، ولو فعل، لم يقدم الا على الضحك . ومالبث ان
ابتسم لها ابتسامه ساخره.

" أما أنا ، فبحاجة الى شراب . يبدو أنك أتيت لاثارة
المشاكل، وبما انك صعبة المراس ، ساحتاج الى شراب
قوي كي أقاومك ! "

وسار نحوها متوجهاً الى المطبخ، فسارعت تستند الى
الجدار ، لتتنحى عن طريقه. غير انه توقف فجأة
، وأسدل نظراته عليها ، ولهيب نار في عينيه ، دفع كلير
إلى الابتعاد بإجفال أكثر.

عض على شفته وقال لها:

" لا تفعلني هذا ! "

فسألته بدفاع وهي ترى فمه يلتوي:
" ماذا؟ "

"أنت تتقلصين في كل مرة أقترب فيها منك. ماذا
الذي تخشينه مني؟"

وازداد دنواً منها، حتى كاد يلامسها، وشعرت كlier
بالدم ينبض في عنقها. لكنه رفعت رأسها، ونظرت
عيناها الزرقاء اناليه بتحدة، ثم ردت بحدة:
"ربما مما تفعله الان! تجراً على لمسي بإصبع واحد
وسوف..."

ابتسم بكسيل، ثم رفع سبابته ولا مس عنقها، حيث
يتحقق نبضها. وأخيراً همس:
"سوف ماذا؟"

ابتلعت كlier ريقها، وقد انحبست أنفاسها، وشغلتها
المقاومة عن اي محاولة للكلام. فمرر إصبعه بتمهل
على طول عنقها، وكأنه يتبع شريانها، مما دفع الدم

الى التدفق بسرعة أكبر وحرارة أشد. وأخيراً تمنت
من القول:

"توقف!"

عندها وثبت اصبعه الى خدها، وداعب حنایاه
المرتعشه.

وتمتّم بنعومه :

"أتعلمين؟ ثغرك يفضح أسراراً. ومع أن هاتين العينين
الزرقاوين فيهما من البرودة ما يقول "إرفع يدك
عني!", إلا ان هذا الفم هو إغراء صرف، وينبئ
بأسرار مختلفة تماماً"

جمعت كلير غضبها، عساها تخفي اضطراباً وهتفت :
" انه يقول أنك ان لم تتوقف عن لبسي، فأقسم أنني
سأضربك بالآلـه الحادة الاقرب "

ثم دعمت كلامها بدفعه عنها بيديها الاثنتين. لكن
لامسته كانت خطأ، بل خطأ فادحًا. فالامر أشبه
بمحاولة دفع جدار حجري متين. ولا أنها ما أن لا
مست رداء الساتان الاسود بكفيها ، حتى تقدم نحوها
، الى ان اوقع يديها في الشرك ، وباتت وكأنها سجينته.
حاولت ان تحرر نفسها وقد انحبست أنفاسها ، وهي
تحت وقع نظراته القاتله من تحت أهداب تقاد تكون
منسدة . وتعمد ان يميل اليها . ويداه تتدان كل الى
ناحية من ناحيتي رأسها ، مجرت :

"ابتعد عنِي ! ان كنت تظن أن بامكانك ان تمارس معي
اللأعيب التي تمارسها عادة مع النساء، فأنت مخطيء !

"

لكنه تتم :

" هذه ليست بلعبة، يا كلينر. بل أنها الحرب، وانت سجيني "

وما لبث ان دنا منها أكثر أكثر، فيما صوته يقارب الهمس:

" يا للمسكينه كلينر... أنها سجينه عاجزة "

ومع انه كان يبتسم ، الا ان عينيه بدت اعميقتين ، داكنتين ، حتى عجزت عن التخلص من وطأة سيطرتهما. وكان بها توق مخيف الى اغماض عينيها. فلننظراته تأثير التنويم المغناطيسي ، ومبادلته النظارات تسل ذهنها ، حتى امسى التفكير عملية عسيرة واستبد بها وهن شديد ، وودت لو تكف عن مقاومته ، وعن مقاومة هذا الشعور الذي ولد فيها. في هذا الوقت ، كانت حدقته المظلمتان تسبران أغوارها ، فنظرت اليهما وارتجفت .

وراح عقلها يصارع جسدها ، فيذكرها ببرودة أن هذا هو ما يقترفه ذلك الرجل في حق النساء ! فكيف لم تعرف الى هذا الاحساس الذي يجتاحها ، الوهن ، الحمى ، الحاجة ... كيف لم تكتشف كل هذا ؟ فهيلين أخبرتها بنفسها كيف باتت مهووسة بهذا الرجل . بل قالت لها انه يثير المشاكل للنساء ، وكانت محققة . ولم تدرك كليا الا في هذه اللحظة الخطر الذي يمكن ان يشكله ، فأخذ قلبها يخنق بشدة بين أضلعها . ما كانت لتقوى أبداً على منعه من معانقتها . لكن ما أن دنا منها أكثر حتى رن جرس الهاتف ، فتصلب دنزل ، ثم رفع رأسه ليطرق السمع : " اللعنة . مواعيد بعض الناس عجيبة . كان علي أن أشغل المحب الالي . "

وتابع الهاتف رنيه . لا يعرف رحمة، فما كان منه الا ان

ابتعد بتنهد:

" أخشى أنه علي الاجابة، فأنا أتوقع اتصالاً مهماً"

ثم نظر اليها من تحت أهدابه ، مبتسمأً وقال:

" لاتذهبي "

وفيما توجه الى غرفة الجلوس ، استندت كلير الى الحائط وقد جف حلقها ، وهي بالكاد تقوى على الوقوف ، بينما أوصالها ترتعد.

ولما توقف الرنين ، سمعت بوضوح ، وقد تجلى في صوته الجفاء وفروع الصبر:

" نعم؟ نعم، أهلاً جو. إذا، هل باشروا به؟ "

ثم سكت ، قبل ان يضيف بسخرية:

" لم أتوقع ذلك... إذاً ماخطوة التالية؟ "

خطت كلير الخطوات التالية بتصلب ، لكن رجليها كانتا من الضعف ، بحيث اضطرت الى الجلوس على درجة السلم الاول . واخذت تستمع بشحوب الى الحدة المتسلطة في صوت دنزل في غرفة الجلوس . وعرفت أنه من السهل أن يتعامل مع موظفيه . لكن ، على أي حال ، ليس من السهل على أي كان أن يتعامل معه بمنطق . وبعد برهة اعاد دنزل السماعة الى مكانها ، وعاد اليها . في ذلك الوقت كانت قد استعادت رشدها تقريباً ، وتمكنـت من مواجهته من غير ان تبدي الكثير من الانفعال .

" هل اخبرت لوسي أنها ستكون النجمة الجديدة "

" لفيمك أو ماشابه؟ "

فرمقها بخفاء وقال :

" بالكاد قلت هذا فلست متأكدةً من أنها تستطيع

" التمثيل حتى "

" اذاً لماذا تخضعها لتجربة فيلم؟ "

" أنها تتحرق شوقاً للعمل في فيلم ، والكاميرا تحبها. لقد

التقطت بعض صور لها، وأستطيع أن أجزم أنها ستبدو

جميلة في الفيلم أيضاً. ويصادف أن فيلمي الجديد

" سيصور بالقرب من هنا...."

" أتعني فيلم برونتي؟ "

ابتسم لها ابتسامه محتالة وسألهـا:

" أهي الاشاعات المخيلة ثانية؟ نعم، اعني فيلم برونتي.

ساحتاج الى العديد من الممثلين الثانويين. وسيضمن

" الفيلم أدواراً صامتـه صغيرة. "

كانت كلير ترتجف غضباً وهي تجيبـه:

"أهذا ما تخططه للوسي؟ أهذا ما سترمي بزواجهما من
أجله؟ ألتحظى بدور صغير صامت في فيلمك الجديد
ان حالفها الحظ، والا مثلت دوراً ثانياً مع حشد من
الناس لبضعة أيام؟ "

"متى ستتوقفين عن لومي لكل ما يصيب غيري؟ لا
دخل مشاكل لوسي مع خطيبها بي، تماماً كما لاشأن
لي بمرض هيلين. "

وبعد أن امتلئت عيناً كلير بالكراهية ، رأته يقطب
جبينه . ومالبت أن قالت له باحتقار :
"لن أضيع وقتي سدى في مجادلتك . لكنني لن أدعك
تدمر حياة اختي "

وفي هذه اللحظة، عرفت لماذا جاءت، فوقفت وأعلنت

:

" لقد جئت لأجمع بعض الأغراض من الخزانة المقفلة في حجرة النوم الصغيرة . لن يستغرق مني ذلك مني وقتاً طويلاً، وبعدها ، سأمضي في طريقي "

ثم صعدت السالم ، وتركته خلفها يحدق فيها . وما ان وصلت الى الغرفة الصغيرة ، حتى فتحت الخزانة ، وهي قطعة الاثاث الوحيدة في الغرفة ، وتحتوي على اغلب الوثائق المتعلقة بالمنزل . وبعد أن أخرجتها ، خرجت من الغرفة على أطراف اصابعها ، وأطربت السمع وتمكنت من سماع دنزل وهو ينتقل بالمطبخ ، فانتقلت بهدوء الى الغرفة التي يستخدمها ، واستعدت . وبعد عدة دقائق ، انسلت منها مجدداً . وعادت الى الغرفة الصغيرة ، حيث راحت تتصفح الوثائق .

وبعد وقت قصير ، تناهت اليها خطوات دنزل وهو يصعد السلام، ثم ظهر عند الباب المفتوح، ووقف فيه يراقبها.

أما كلير، فالتفتت اليه، وأعلنت :

"أوشكت على الانتهاء منها "

فقال، وهو يضع كوباً على الخزانة:

"أحضرت لك عصير التفاح "

عبست كلير وهي ترى محتويات الكوب لا لون لها:

"أنا آسفة، لكنني لا أريد هذا النوع . أللديك عصير

برتقال؟ "

"طبعاً، ماذا تريدين أيضاً؟ "

"لا شيء، يكفيوني عصير البرتقال."

هز كتفيه، ثم وضع كوبه جانباً، ونزل الى المطبخ. وهنا

فتحت كلير حقيبتها، وأخذت منها قرصين صغيرين

وَمَا أَنْ سَمِعَتْ دَنْزُلْ يَعُودْ حَتَّىْ أَخْفَتْهُمَا فِي رَاحَةٍ
يَدَهَا، وَاسْتَعْدَتْ وَهِيْ تَسْمَعُ الْخَطْبَىْ تَتْسَارَعُ عَلَىْ
السَّلَامَ.

وَمَا قَدَمَ إِلَيْهَا كَوْبَ الْعَصِيرَ، تَنَاوَلَتْهُ قَائِلَةً: "شَكْرًا"
أَرْتَشَفَتْ قَلِيلًاً. فِيمَا اتَّفَتْ دَنْزُلْ لِيَمْسِكَ بِكَوْبِهِ.
وَمَا كَانَ مِنْ كَلِيرٍ إِلَّا أَنْ دَسَتْ الْقَرْصَيْنِ فِي كَوْبِهَا
وَهِيْ نَتَظَرُ إِلَىْ ظَهَرِهِ بِحَذْرٍ، ثُمَّ ذُوبَتْ الْمَزِيجُ بِسُرْعَهِ.
وَأَخِيرًاً، أَدْنَتْ الْكَوْبَ مِنْ شَفَتِهِا، وَهِيْ تَتَرَقَّبُ
الْتَّفَاتَ دَنْزُلَ. فَلَمَّا فَعَلَ، عَبَسَتْ بِوْضُوحٍ، وَأَنْزَلَتْ
الْكَوْبَ مَجْدَدًاً وَهِيْ تَتَفَرَّسُ فِيهِ.

"مَاذَا وَضَعْتَ فِيهِ؟"

قَطْبُ حَاجِبِيَّهُ وَرَدَ:

"لَمْ أَضْعُ فِيهِ شَيْئًا"

"وَلَكِنْ طَعْمَهُ غَرِيبٌ."

" ماذا تعنين بغريب؟ "

" رفعت اليه الكوب وأحابت: " تذوقه بنفسك "

فأمسك الكوب والغضب في عينيه، ثم رفعه إلى فمه ،

وشرب القليل من العصير.

" ليس فيه شيء. طعمه لاذع قليلاً، ولكن تلك حال
عصير البرتقال أحياناً. "

ورغبة منها في التأكد من أنه شرب ما فيه الكفاية

، سألته ببرودة :

" هل شربت منه فعلاً، أم أنك ارتشفت قدرًا يسيراً
وحسب؟ "

فسدد إليها نظرة رصينة تفتقر إلى الابتسام، ثم ابتلع

جرعة كبيرة من الشراب، وقال بحدة:

" أترین؟ انه لا يشكو من سوء. لكن لا داعي لشربه

" اذا لم يرضيك "

ووضع الكوب على الخزانة محدثاً صوتاً عالياً اجفل كلير، فتمنت في نفسها أن أعصابها متوقعة بما يكفي.

"لا داعي لأن تفقد أعصابك ! اعتقدت أن طعمه

غريب، هذا كل ما في الامر.

تضاعف الغضب في عينيه، واتخذ فمه شكلأً بارداً مستقيماً وهو يقول:

"ماذا تظنين أنني فعلت بعصيرك؟ هل اعتقدت أنني وضعت فيه مخدراً؟ ومن ثم ماذا؟ أعتدي عليك؟

"أهذا ما كنت تفكرين فيه؟"

أغلقت الخزانة ويداها ترتجفان قليلاً، وحاولت إلا

تنظر اليه، ثم ما لبث ان تذمرت:

"اسمع ، أنا آسفة. ايرضيك هذا؟"

فهتف بحدة:

"كلا، لا يرضيني. فلم أحتاج يوماً إلى تخدير النساء. "

عندئذ، فقدت كلير أعصابها بدورها:

"آه ، ألم تفعل؟ حسناً ، ستحتاج إلى صرعي بحجر

قرميد " قرميد "

فرد عليها :

" لو كان معي حجر قرميد الآن ، لا ستعملته . ولكن

صدقيني ، ليس بهدف إغوايتك ! فلا يبلغ بي التوقف

البائس إلى النساء هذا الحد ! "

أحسست بوجهها يحترق . وما كان منها إلا أن استدارت

على عقيبها، وخرجت بغضب من الغرفة، وهي تكاد

تفقد توازنها. فتبعها عن قرب وكاد يصطدم بها عندما

وقفت قرب غرفة نومه. وهنا تذكرت أنها على وشك

القضاء على خطتها بانفعالها هذا.

فاستجمعت انفاسها، وحاولت ان تبدو أكثر
وداً. وتمتمت وهي تحول نظرها في الغرفة التي تزيينها
المصابيح الهدئة :

" أرى انك أضفت جواً مريحاً على الغرفة "

بالكاد لاحظت التغيير عندما دخلت الحجرة في المرة
الاولى، فهي لم تكن تملك الوقت الكافي لتأمل الجو
عن كثب. أما الان وقد فعلت ، فقد أدركت أنها لا
تُنْتَ الى الغرفة التي تذكرها بصلة.

كان سقف الغرفة مطلياً بالابيض ، والاثاث في الغرفة
قليل قليل. أما الان ، فاكتسى ظلاً دافئاً مشمسياً،
وزينت النوافذ ستائر جديدة أكثر عمقاً. كما أضاف
عدهاً من المصابيح ، ومكتباً وضعه قرب النافذة،
ومقعداً من الجلد ، وبقربه طاولة وخزانة كتب. وحفلت
الجدران برسومات ولوحات مائية مخطوطات وصور .

ثناءب بغتة ، ومالبت أن أجاب بنعاس:

" ألا تعترضين على التغيرات التي قمت بها؟ "

فأسدلت أهدابها ، ونظرت اليه نظرة جانبية ، وراته

يتشاءب مجدداً.

" بالطبع لا. لقد أحالتها غرفة دافئة جداً، وأنا أحب الجدران المشمشيه اللون. لا بد أن المنظر رائع صباحا حين توشك الشمس على الشروق. ويا للصور الكثيرة!

هل ترسم؟

فأقر بلهجة عاديه:

" رسمت بعض هذه اللوحات المائية "

" حقاً؟ أيها؟ "

ومالبت أن خطت الى داخل الغرفة، ونظرت الى احدها ، فيما دنزل يتبعها وهو يتشاءب بتشنج.

" نعم رسمت هذه. "

فقالت وقد تفاجأت برسمه المتقن:

"إنها جيدة جداً"

إنه يستطيع الرسم فعلاً. ومع أن المنظر الطبيعي حوى تفاصيل قليلة، إلا أن الخطوط السوداء حملت قوة وتأثيراً لفتا انتباها.

هز كتفيه بلا مبالاة، وعلق :

"هذا رسم تخطيطي لخلفية في فيلم لي. كنت بحاجة الى تخيل كل تفصيل قبل أن أبدأ التصوير، والى درس كل إطار كي نحدد ما سنحتاجه. انظري، هذا مشهد داخلي في منزل، من فيلمي الأخير"

نظرت الى الرسم، واستعادت ذكرى مبهمة لمشهد من الفيلم هذا، وهو مشهد شديد الحميمية تقوم فيه الممثلة الايرلندية المكسيكية بالرقص لحبيها. ولما

ثناءً بـ مجدداً، رمقته بنظرة جانبية سريعة ، فتمتم

بعوس :

" آسف لقد أخبرتك أنني مرهق، ولكنني لم أدرك أنني
بـهذا الارهاق"

وسرعان ما ترندح إلى الوراء ، وتهالك فجأة على السرير
، وهو غارق في الحيرة ، فتقدمت كلير نحوه، ووضعت
يدها على جبينه.

" لعل فيروس الانفلونزا المنتشر حالياً قد أصابك. ومع
أنه فيروس قوي جداً، إلا أنه لا يدوم سوى أربع
وعشرين ساعه. والآن ، من الأفضل أن تستلقي. "

" لا أستطيع. فعلي أن أوصلك إلى الأسفل....

ثم سكت قليلاً قبل أن يكمل :

" يا إلهي ، كم اشعر بالغرابة ! "

أرجعته كليير بلطف الى الوراء، فلم يجد أى مقاومة
، بل ترافق ببساطة على السرير، ثم أغمض عينيه وهو

يدمدم : "رأسي..."

وساد السكون الا من صوت تنفسه الناعم ، فنام

مفتوح الفم، متورد الوجه.

مالت كليير فوقه ، وأنصتت وهي تراقبه بعزم . انه في

حالة سبات عميقه . وشعرت بنفسها حائرة بين

الذهول والانتصار . لقد نجحت خطتها ، من دون أن

تصادف أى مشكلة على الاطلاق ! في الواقع ، كانت

خائفة من ألا تؤثر الحبوب المنومة إلا بعد وقت طويـل،

فضاعفت الجرعة التي وصفها الطبيب، ونالت ماتتمنى

بسـرعة.

وأخذت نفساً عميقاً، اذ لا يمكنها اضاعة الوقت في

Kahn ة نفسها.

أمامها الكثير لنتفذه، ولا تعرف كم من الوقت
سيطلب منها ذلك ، كما لم تكن متأكدة متى
سيستيقظ، قد يستيقظ بعد خمس دقائق أو خمس
ساعات، عندما زارت الطبيب طلباً لهذه الاقراص،
وهي تختلق أعمالاً كثيرة منعها من النوم، وسببت لها
إرهاقاً شديداً، حذرها من أنها قد تستيقظ مجدداً
خلال الليل. وفي هذه الحالة ،يجدر بها ألا تتناول قرصاً
آخر نظراً لقوة مفعول الحبوب، وعارضها الجانبيه
الخطيره.

تصنعت كلير الهلع وسألته: "وماذا لو نسيت ،

"وابتلعت قرصاً إضافياً، أيعد هذا خطيراً؟ "

فأجابها :

" في الواقع ،يمكنك مضاعفة الجرعة من دون أي
نتائج سلبية في المرة الاولى ، على ألا تنسى هذه عادة

المشكلة ، أن الناس اعتادوا هذه الأقراص . وهم يستيقظون ليلاً، وينسون كم قرصاً تناولوا، فيتناولون واحداً إضافياً ! لذا ، سيكون من الأفضل لو أبعدت هذه الأقراص عن سريرك . وأعيديها إلى خزانة الأدوية ما إن تأخذني جرعة قبل النوم " عبست كلير ، وهي تنظر إلى وجه دنزل المستغرق في النوم . لم تكن تريده أن تسبب له أي أذى ، ولو كان يهدد سعادتها أختها . ولما أضفت إلى تنفسه المنتظم ، بدا لها طبيعياً ، فقررت أن تباشر العمل . خلعت أولاً ذلك الرداء الأسود من الساتان ، الذي أعاقها كماه عن تقييد معصميه . ولم يكن من السهل عليها ، أن تتعامل مع جسده الهامد ، فأضطررت إلى الركوع بجانبه قرب السرير . حاولت أن ترفعه بذراع واحدة ، ثم أسلنته برجلها ، إلى أن نزعت رداءه . ووضعت القيود

في معصميه، ثم أقفلتها ،بعد أن ثبتت طرفها الآخر في حديد السرير ، وأخفتها بحرص وراء كومة من الوسائل... واستنتجت أن دنزل يحب العيش المريح، فالملاءات غالية الشمن، وتناسب طراز الغرفة الجديد.

وحين أنزلته ثانية ، لاحظت أن أزرار بيجامته قد فكت بطريقة ما، أثناء صراعها معه. وما بين ثنایا قميصه، لحت كتفيه المسمرتين الناعمتين. شعرت بحلقها يجف ، وما كان منها الا أن اشاحت بنظرها بعيداً. فهي لا ت يريد أن تلاحظ هذه الناحية فيه. مدت يدها الى سترته بغضب ،ولكن دنزل تحرك في هذه اللحظة، وهو يصدر أنيناً وكأنه على وشك الاستيقاظ.

فوثبت كlier من مكانها، وابتعدت عن السرير وهي تعيره آذاناً صاغياً، وتراقبه بحذر .لكنه تحرك ببطء ، ثم

حاول الالتفات الى الجانب الاخر، لكنه عجز عن ذلك ، نظراً الى أن يديه مقيدتان فوق رأسه. واذا بتقطيبة تعلو جبينه، وتدفع كلير الى حبس أنفاسها، لكنه مالبث أن سكن ثانية. وعادت كلير الى السرير ، فخلعت عنه خفيه الجلدتين ، من غير أن تستطيع منع نفسها من تأمل رجلية الكبيرتين والأنبيتين ، وأصابع قدميه الرشيقه.

وسرعان ما تأوهت ، وأنبت نفسها : "ركزي على ما تفعلينه ، وكفى عن النظر اليه !" أخرجت على عجل حبل غسيل من حقيقتها ، وبدأت بتقييد قدميه، فأصبح عاجزاً عن النهوض ، مما ناسها تماماً.

ورأت هاتفاً الى جانب سريره فأبعدته عن القابس وعن متناول يده ، لكنها تركته في الغرفة ، لانه يشكل قسماً

أساسياً من خطتها، إذ ستطلب منه الاتصال بلوسي ما أن يستيقظ.

ثم أكملت عملها بتقييده بسلسلة قوية جداً. وبعد أن انتهت، ألقت نظرة فاحصة على دنزل، فوجده ما يزال يغط في النوم. نزلت السالالم على مهلهما، وأعدت كوباً من القهوة، ثم عادت تنتظر في الاعلى. وفي هذا الوقت، نظرت الى خزانة الكتب، وووقيعت على نسخة لقصص شرلوك هولمز. مع أنها حاولت القراءة، إلا انه كان من الصعب عليها أن تركز اهتمامها على سرد واطسون. وبقيت عيناهما تنتقلان من الصفحة الى جسد الرجل نصف العاري الممدد على السرير.

كان كل نفس يستنشقه يرفع صدره العاري وينزله في حركة مستمرة. كانت الغرفة دافئة، لكنها ادركت

فجاءة انه يشعر بالبرد، فحرارة الجسم تنخفض اثناء النوم. وهكذا ، تقدمت منه ، ورفعت اللحاف لتغطيه.

وفيما كانت تتحي فوقه ، أبصرت أهدابه ترفرف ،

فتسمرت في مكانها . وخيل اليها أنها رأت وميضاً بين رموشه يتالق لبرهة قبل أن تسكن أهدابه مجدداً.

لعله كان يحلم ... وراحت تراقب رموشه السوداء ،

الكيفية فوق خديه المتوردين ، ثم تساءلت في سرها: "

ترى بماذا يحلم؟ "

واستبد بها القلق خوفاً من أن تعلو حرارته. ولا مست

يدها خديه بلطف ، وارتاحت لما تغلغل فيها دفء

بشرته من دون اثر لحمي.

كان من الأفضل لها أن تعود الى كتابها ، لكن الرغبة في

استراق النظر إليه في غفلة عنه بدت أقوى منها ،

فجلست على حافة السرير ، وامتدت أصابعها بتمهل

لتلامس كتفه العاريه. وسرعان ما سرت فيها قشعريرة
بطيئة ، وكأن أشواكاً وخزتها. ورغم ذلك، حاولت أن
تفكر بمنطق. لكنها لم تكن ترى الا جسمه الرفيع،
وقد زادته يداه الممتدةان فوق رأسه طولاً. فتذكرت
كيف طال طيفه في حلمها ليلة الميلاد ، ثم أغمضت
عينيها ، وتنهدت بتأثير من الذكرى. وامتدت أطراف
اصابعها حتى وصلت الى وجهه. بدت لها ذقنه وكأنها
لم تحلق منذ مدة، وكأنها طيف أسود على بشرته.
وجف حلقتها ، قبللت شفتها بعصبية، ثم ابتلعت
ريقها، وقد علا الاحمرار وجنتيها ، وارتفع تنفسها
بصوت مسموع.

كانت تتحرق شوقاً الى ضمه والتtot معدتها في شعور
جعل أوصالها ترتعد خوفاً. فبقيت عيناهما لا تفارقانه
وهي تعرف انه لا يشعر بارتجافها، ولن يدرك شيئاً عنه.

وفي هذه اللحظة ، تقلب وجهه على
الوسادة. فحدقت في عنقه الطويله القوية، وقد
استرخت عضلاته في أثناء رقاده، ثم تذكرت مجدداً
ذلك الحلم الذي راودها ليلة الميلاد ، فشعرت بالعجز
والوهن يستبدان بها. أما الان، فهو العاجز والواهن،
وهو الواقع تحت رحمتها. مالت اليه بعنف، ودفت
وجهها في عنقه. لكنها مالبثت أن فكرت في غباء ما
أقدمت عليه ، بل في جنونه. ماذا تفعل بحق السماء؟
ماذا لو استيقظ ورآها على هذه الحال؟ ماذا تراه
سيظن حينها؟ وسرعان ما جلست مجدداً، فإذا بدبوس
من اللؤلؤ ينفك من سترتها، ويخدش صدره العاري،
راسماً قطرة دم صغيرة عليه.

أغلقت كلير الدبوس ، وهي تحدق في نقطة الدم على بشرته . ومع أنه خدش سطحي . إلا ان منظر الدم سحرها ، فأغمضت عينيها ، تسترجع حلمها الجميل . وبعد دقيقة ، فتحت عينيها ، ثم رفعت اللحاف فوقه ، وتوجهت الى كرسيها ، وهي تجاهد لتركيز على كتابها . وبعد حين ، غرقت في سبات عميق ، لم تستطع مقاومته رغم القهوة المركزة . فمال رأسها على ذراع المبعد الجلدي ، وسقط الكتاب أرضاً من غير أن يزعجها . أما ما ايقظها ، فصوت الرجل على السرير . لا بل أنينه وحركته ومن ثم صيحة التعجب التي صدرت عنه . أفاقت كلير ، وقد فقدت حس الزمان والمكان . ولثانية ، ظلت عاجزة عن تذكر مكانها ، وما يجري من حولها . وما ان تذكرت ، حتى التفتت الى السرير .

كانت عيناً دنـزل مفتوحتين تماماً، فيما جسده يصارع للنهوض، فيشد على القيود، ويُرفس قدميه المكبلتين

بعجز:

"ما هذا بحق الجحيم؟"

ليلة العقاب

وعندما نهضت كلير من مكانها ، التفت دنـزل إليها بحدة. فلاحظت المفاجأة في عينيه الرماديـتين اللتين لم تسعـعا إلا لتضيقاً مجددـاً.

لوح اللون وجهها تحت وطأة نظراته، ثم تمتـت :

"أنا آسفة"

"هل انت من فعل هذا بي؟"

وتلمست في صوته شكاً استطاعت أن تفهم سببه.

" بحق الجحيم، كيف.... لماذا ضربتني؟ "

" لقد دسست حبوباً منومه في شرابك. "

حدق فيها بمزيج من الثبات والعبوس:

" ماذَا؟ ان كنت تعتبرين ذلك مزاحاً، فأنا لا أجد

مضحكاً البته "

وعاد يشد بقوة على معصميه الحبيسين، مضيفاً:

" فكي هذه الاشياء اللعينه عني ! "

فدنلت من السرير ، وهي مطمئنه الى انه لن يسمك

بها، ثم شرعت تشرح له بصوت أجنث وكلمات

سريعه:

" أنا آسفه لأنني استخدمت هذه الطريقة ، لكن لم

يكن بوسعي التفكير في طريقة أخرى . وكان علي أن

أوقفك عند حبك، فلن أدعك تدمر حياة أخي. في الغد ، سأبعد لوسي ، وأدفعها إلى اللحاق بخطيبها في أفريقيا. أما لو خضعت لتجربة الفيلم ، ونالت دوراً صغيراً في فيلمك الم قبل ، فستفسخ خطوبتها بما يك . وأعلم أنها ستترتب خطأً فظيعاً، فلوسي تحبه ، ولكنها لن تعود إلى رشدتها إلا بعد فوات الاوان.لذا على ان امنعها من التقدم لتجربة الفيلم غداً. ولم استطع التفكير الا في طريقة واحدة ، وهي منعك من اصطحابها. وبما اني اعرف انك لن تستمع الي المنطق ان حاولت أن اقنوك ،لذا... "

ثم توقفت ، وقد منعتها أنفاسها المخنوقه من متابعة جملتها، فتمت دنزل من خلال أسنانه المطبقة: "يا إلهي ، انت مجنونة تماماً !"

وبدأ يناضل مجدداً، وهو يجذب قيوده بعنف ، ويحاول أن يقطع الحبل الذي يكبل رجليه معاً.

فقالت كلير :

" أنت تضيع وقتك وطاقتك سدى "

عندما التفت إليها، وحملق فيها فيما التوت شفتها

كذئب هائج، وصرخ:

" اللعنة عليك، فكي عني هذه !"

فهزت رأسها بعناد:

" كلا، وان بقيت تصارع هذه القيود ، فلن تؤذي إلا

"نفسك "

أخذ نفساً عميقاً وكأنه على وشك الانفجار وقال:

" افتحي القفل إذاً !"

وثارت أعصابه لما سمع الصرير المزعج في صوته. ورغم

انه مقيد وعجز بهذا الشكل، بدا قادرًا على اثارة

الرعب فيها. لكن من الضروري الا يلاحظ أنه يخيفها، لذا جاهدت لتحافظ على هدوء وجهها وجموده. أما هو ، فاستلقى مجدداً وهو يتنفس بخشونه، ويراقبها وقد بدا مطروقاً مفكراً وما لبث أن حاول مقاربة مختلفة ابتسما لها ببطء، وقد تبدلت ملامح وجهه، واتسمت نبرة صوته بالنعومة والمنطق والسحر المتملق.

" حسناً لقد فزت يا كليل .لن أخضع لوسي لأي تجربة في الغد، أعدك بذلك. هل أنت راضية ؟ والآن فكري هذه القيود. "

فهزت رأسها ،لترى ذلك المنطق اللطيف يتلاشى من وجهه، وبريقاً عنيفاً يستقر في عينيه.

" حين أخلص من هذه ستمنين لو أنك لم تولدي قط. "

فابتلت ريقها في الواقع، كانت تعرف انه ينطق بالحقيقة ، لكن عليها ألا تفكر في ذلك الان ، بل ستتركه الى وقت لاحق وهي لا تشک في ان القلق سيتملکها حينها.

ولما هدأ دنزل مجدداً، وراح يرمي مقطب الجبين
،أعلنت ببساطة:

" أريدك ان تتحدث الى لوسي "

بدا وكأنه مستعد لتصديق اي شيء الان وسألها :

" أهي هنا أيضاً؟ "

" بالطبع لا. "

وحانت منها التفاته الى ساعتها ، التي اشارت الى الحادية عشر والنصف . لابد ان لوسي عادت من السينما، وفي طريقها الى السرير والوقت الملائم للاتصال بها الان.

وصلت الهاتف بالقابس من جديد ، قبل ان تواجهه
والسماعه في يدها :

" أولا ، عليك أن تعدني بان تخبرها بما أقوله لك تماماً ،

من دون أي كلمة إضافية "

فتساءل وعلى وجهه تعبر قلق غامض :

" ولماذا أفعل هذا؟ "

" لأنك لن تخلص من هذه القيود حتى تقوم بهذا

الاتصال ."

ضحك ، لكن عينيه لم تعكسا أي مرح :

" لا يمكن ان تكوني جادة ! "

" بل أعني كل كلمة اقولها . فإذا أنت توافق على اجراء
هذا الاتصال ، واما أن اذهب وأتركك على هذه الحال
طيلة الليل ."

فتبدل مزاجه ثانية ، ثم ز مجر بغضب شديد :

" قد تعتبرين الامر مزاحاً، لكنه ليس مضحكاً. ولن يجد القانون ذلك مضحكاً بدوره. أتدركين عقوبة جريمة كهذه؟ ستحاكمين بتهمة الاعتداء والاحتجاز القسري. وقد تسجين

مدة طويلة جداً. وصدقني لن تحبي حياة السجن كثيراً، فهي غير سارة أو مريحة ،لاسيما لفتاة مثلك " وسرعان ما سرت قشعريرة في بدنها، لكنها قررت ألا تتراجع. فقد فات اوان القلق عما يحدث لاحقاً، حين يتحرر .لذلك ،ستمضي قدماً في خطتها ، خاصة أنها أنجزت منها ما يمنعها من الاستسلام. قالت ببرودة : " لا أظنك سترغب في إخبار الشرطة أن امرأة أقدمت على تقييدك الى السرير. وقد يسخر المسؤولون منك " فومضت عيناه ، ثم رأت اسنانه تطبق وكأنه يريد ان يقطع رأسها .

ومالبث أن أضافت ، وهي تهز كتفيها استخفافاً:

" وحدث عن الدعايات التي ستنشر ما إن يسمع الناس بالقصة، وسيقبل الصحفيون إلى البلدة سعياً وراء القصة، وتتحدث الجرائد عنها بالصفحات ، يوماً بعد يوم. باستطاعتي أن أتصور العناوين منذ الان وسيحب الناس القصة، لكن ماذا عنك أنت؟ يمكنني أن أتخيل الدعايات التي سيطلقوها . فكر في الامر. صحيح أنني قد أزج بالسجن . لكنك ستتمسي " محط سخرية الجميع "

رأته يستغرق في التفكير، وكأن وجهه ساحة معركة بعد ذلك ، نظر إليها وكأنه يرغب في قتلها. فترىشت لثانية، ثم أضافت:

" سأرحل بعد دقائق ، ان لم تجر الاتصال . لذا ، اتخذ قرارك. "

حمد لبرهة وهو يرمقها ، ثم تتم بجفاء:

" ماذا تريدين مني ان اقول لها؟ "

عندئذ ، خالجها شعور مزعج بالارتياح . ما ان يتصل

بأختها حتى تسير خطتها في مسارها السليم.

" أريد أن تخبر لوسي أنك آسف لأن تجربة الفيلم قد
ألغيت ، وعليك الرحيل ، وأنت غير متأكد من موعد

رجوعك . "

فتصدق في كلامه ، وهو يرفع حاجبيه الاسودين

بتساؤل :

" وماذا يعني من اجراء اتصال آخر ما أن تحررني؟ "

" حينها ، ستكون لوسي في طريقها الى المطار . "

رأته يعاود التفكير في المسألة :

" لكنك قلت إتك ستفكين هذه القيود ، ما إن اتصل

بأختك "

" سأفعل ، لكنني لن أتركك هنا وحدك ، ولن تجري المزيد من الاتصالات . "

ولمحت وميضاً في عينيه وهو يسألاها :

" أتنوين أن تلازميني الليل بطوله؟ "

لم تحبذ تلك النظرة التي رمّقها بها ، بل لم تعجب بذلك التعبير على وجهه . لكنها ظهرت بعدم الفهم ، وأجابت بسطحية :

" معظمة ، نعم ... حسناً ، أستجري الاتصال ، ام لا؟ "

فنجدها ابتسامه ساخرة وأجاب :

" حسناً "

شرعـت تقول له :

" أخبرـها فحسب ..."

فقطـعـها :

" اعرف ما تريـدـينـي أن أـخـبرـها "

"لاتضف أي كلمة او تنقص ، والا قطعت الخط قبل
ان تحاول ."

ومع أنه لم يجب ، لكن ملامح وجهه عكست الاجابة
الشافية.

بعدئذ ، طلبت كلير الرقم ، وانتظرت حتى ارتفع

صوت لوسي وهو يقول بتردد: " آلو؟ "

فرفعت السماعة الى فم دنزل ، وهي على استعداد
لخطفها أن لم يلتزم بما أرادته . لكنها سرت لما سمعت
صوته عادياً، خشناً:

"لوسي؟ انا دنزل . اسف ان ازعجتك في هذه الساعه"

المتأخرة ، لكن علي الرحيل ملدة واخشى أن تجربة

"الفيلم الغيت"

سمعت لوسي تغمغم ، وتخيلت شعور اختها في هذه
اللحظة ، ثم انحنت لسماع كلماتها ، فإذا بشعرها

الحريري الفاتح يلامس وجه دنزل، أحست بعدها

بتيار كهربائي دفعها إلى الابتعاد بسرعه، فيما عيناه

الرماديتان لا تفارقانها. لكنه لن يعرف أن هذا

الاحتكاك البسيط جعل قلبها يدق كمطرقة بين

أضلعها، ونبضها يتسارع حتى يفوق كل تصور...

وبينما هي لا تزال تقرب السماuge من فمه ،تابع

كلامه :

"لوسي ، لا أملك أدنى فكرة متى أتفرغ لرؤيتك ثانية "

وفي هذا الوقت ظل نظره عالقاً بوجه كلين ، والساخرية

تملاً عينيه، وهو يضيف :

"في هذه الاوقات ، اشعر أنني مقيد ، وأنني لست

"سيد نفسي "

فاستشاطت كلين غضباً، وهي تسمع المعنى المبطن ،

وترى فمه يلتوي بتسلية لم تشاركه أياها.

استرجعت السماعه بسرعة ، وأضفت الى لوسي وهي
تقول بصوت بالك:

"دنزل... ولكن ماذا عن الفيلم؟ ألن تصوره؟ ظننت
أنك متأكد من أنني أنااسب هذا الدور. الا يمكنك أن
تجري التجربة لاحقاً؟ أم أنك وجدت ممثلة أخرى؟
أهذا هو السبب؟"

وسمع دنزل ذلك بدوره، فالتفت الى كلير . ولما لم
تعجبها الطريقة التي رمقدا بها، همسـت :

"قل لها وداعاً."

بعدها قربت كلير السماعه منه من جديد فتمـت دنزل
بلطف غامر:

" أخشـي أنـي محـبر عـلـى تـودـيعـك الانـ يـا لوـسيـ . اـناـ
آـسـفـ "

وبعد ان أعادت كلير السماعه الى مكانها ، استقامت متنهدة ، ثم نزعت الهاتف من قابسه مجدداً.

" علي ان أعود الى المنزل الان، وأقنع لوسي بأن تلحق بـمايك غداً. "

فتصلب قبل أن يهتف:

" لقد وعدتني أن تفكى هذه القيود ! ففكها... هذا الاحساس بالعجز يقودني الى الجنون"

ابتسمت كلير ابتسامة باردة ساخرة وقالت :

"انا سعيدة لأنك أدركت ذلك أخيراً ! "

" ماذا يفترض أن يعني ذلك؟ "

" الآن فقط ، تدرك شعور ضحاياك ! "

" ضحاياي ! لقد استعملت هذا التعبير قبلاً، وأنا لا

أدرك الى الان عما تتحدثين بحق الجحيم. "

" آه لا ، أنت بالطبع لا تدرك ذلك ! "

فزنجر:

" وكفى عن هذه اللهجة الساخرة ! إن كان لديك ماتتهمي بي به ، تفضل . لكن دعى هذه التلميحات المهمة "

" لقد تسببت بمرض هيلين ..."

" هيلين تسببت بمرضها بنفسها ! لقد تشاجرت مع زوجها ، وطلقا . لكنها لاتزال مغرمه به ، وتعيسه لفراقه . وهذا ماسبب مرضها ، وليس انا . "

" لعلها أحببت بول طيلة ذلك الوقت ، لكنها فقدت عقلها من أجلك ... وأخبرتني نفسها كم شعرت بالعجز . تذكر أنني رأيتها معك ، ورأيت الحالة التي عانتها بسببك . "

فأسدل أهدايه ، واخذ يراقبها من خلال رموش سوداء، فيما عيناه تلمعان كما النجوم الفضية في سماء مظلمة.

" يبدو أنك تهتمين كثيراً بعلاقاتي مع النساء الاخريات . "

تورد وجهها ، ونظرت اليه بغضب قائلة:

" هيلين صديقتي ، ولوسي اختي " فتشدق في كلامه ، مما ضاعف غضبها:
" أهي غلطتي إن وجدتني كلامها جذاباً؟ "

" لقد أخضعتهما لتأثيرك ، وكأنك مصاص دماء عاشق ! فتوقفتا عن التفكير بعقل . وبعد ان تغلبت هيلين على مشاعرها نحوك ، أخبرتني كيف شعرت بالهوس ، بل كانت عاجزة عن التفكير في

أي شيء آخر، وسعت بعجزه إلى فك الأغلال التي
تربطها بك."

ثم نظرت إليه فجأة، وقهقحت ، من الغضب الخالص
البارد الذي استبد بها.

وما لبثت أن رمته أخيراً بتلك الكلمات :
" تماماً كعجزك أنت الان ! "

راقبت ردة الفعل على وجهه ، وعرفت أنه لم يجد
هذه الفكرة . بعدها، أضافت بصوت خافت تشوبه
المراة:

" تماماً كعجزي حين كنت في الطابق السفلي،
وترواجعت إلى الجدار وقلت لي إيني سجينتك "
ولم يأت حركة، بل نظر إليها وقد استحوذت على
كامل انتباهه وتمت بهدوء:

" كنت أمنحك، وهي مجرد لعبة "

فجلست على حافة السرير وسألته:

"لعبة؟ حقاً؟ لقد لمستني ضد إرادتي ، اتذكر ذلك؟
هكذا..."

وبتمهل ، مرت إصبعها الطويل على جسده
وأحسست بالتوتر يتسلل الى جسده كله.

"العجز هي الكلمة التي استخدمتها . لقد قلت إننا
في حرب ، وانني سجينه عاجزة . والآن ، انظر من هو
السجين . كيف تشعر؟ "

بدا ذاهلاً، حين مرت إصبعها برفق على وجهه :
" مالامر؟ يبدو وكأنك تعتقد أنك كنت تخرج فعلاً في
الاسفل . لكنني لاحظت أنك استمتعت فعلاً بتلك

"اللعبة التي لعبتها معي ."

واستمرت تتلمس تفاصيل وجهه ، من خديه ، الى
أنفه ، فعينيه وحاجبيه .

"كنت اللعبة التي تسللت بها، أليس كذلك؟ لقد تجاهلت كل احتجاجاتي ، واستغليتني بإحدى الأعصاب الصبيانية، ولكن ، يمكن لشخص آخر ان يشتراك في اللعبة. "

واستمتعت بإنكاره، وهو لا يصدق ماذا يحدث له! ثم مالت نحوه، فغمّر وجهه شعرها الأشقر، قبل ان تهمس في أذنه:

"الآن حان دورك لتكون عبتي ! "

وشعرت أنه يحاول نزع القيود ، فضحكـت ثم نظرت إلى وجهه الغاضب، وعينيه اللامعتين.

وتجلـى في صوته غضـب مرير:

"إن كان من امرأة لا أتحملها، فهي المعدبة الباردة "اعصاب "

فشحب وجه كلير ، وقد كرهت النبرة التي استخدمتها ، لكنها جاهدت لتحافظ على خلو التعبير عن محياتها . وقررت ألا تسعده بكشف الجرح الذي سببه لها .

وتمتم باختصار ، وعيناه لا تفارقانها :

" أما من تعليق؟ "

وبادلته النظارات من دون أي تعبير . ورغم أنها شعرت أن الكلام بعيد عن السهولة باشواط ، إلا أنها ،

وبطريقة ما ، تمكنت من القول : " لا "

فقصت شفتاه ، وهو يومئ برأسه ، ويضيف :

" كما سبق وذكرت ، أنت باردة كالجليد ، وتفتقرين إلى الانفعال . لقد عانقتني لثيري غرائزي . تلك كانت

نيتك ، أليس كذلك؟ "

عندئذ ، أجابته كلير على نحو فظ :

" لا نملك الوقت لهذا "

فرد من بين أسنانه المطبقة :

" أنت لا تملkin الوقت، أما أنا ، فيبدو أن ، لدى

وقت العالم كله . فلن أذهب إلى أي مكان "

" أسمع على لوسي أن تستقل قطاراً إلى مانشستر في

السادسة من صباح الغد . كما عليها أن توضب

أغراضها قبل ذلك . وما زال علي أن أكلمها ، لأنها لا

تعلم شيئاً عن هذه الرحلة . "

" ألن تحتاج إلى تأشيرة دخول؟ "

حاولت كلير ألا تنظر إليه . فكلما وقعت عيناهما عليه

، سرت فيها ذبذبات غريبة .

ومالت أن قالت بسطحية:

" لقد حصلت واحدة قبل شهر عدة ، وذلك حين

سافر مايك إلى هناك ، كي تزوره ، في حال وفرت بعض

المال . "

" وماذا عنه؟ متى ستخبرينه بقدومها؟ "

" لقد سبق وفعلت. "

فأجاب بسخرية باردة:

" أنت تدهشيني. وفيك من السريه ما يفاجئني ، إذ لم

تطلعني مخلوقاً على ماتخططين له "

عندها رفعت ذقنها ، متوردة الوجه وقالت له:

" لم أخبره عنك، أو عن تجربة الفيلم. بل اكتفيت

بالقول إنها مفاجئة من لوسى، وحضرته من أن يذكر

الموضوع سلفاً. أنها علي أن أعلمها بموعده قدومها. كي

يلقيها في المطار، ويحجز لها غرفة في فندق قريب "

فعلق بجفاء، وهو يدرسها ، كمن يراقب حشرة تحت

عدسة المجهر:

" لقد فكرت في كل شيء، أليس كذلك؟ "

" بل حاولت ذلك. "

وحانت منها التفاة الى ساعتها ، وقد فرغ صبرها :

" والآن ، هل ستدعني أوثقك بالحزام ، أم لا؟ لأنك ،

إن لم تفعل ، ستبقي مقيد اليدين طيلة الليل "

" حسناً، ضعي الحزام اللعين ، بأي وسيلة كانت "

ثم رفع جسله ، تاركاً إياها تدس الحزام حول وركيه.

وأعلنت ، من دون أن تنظر اليه:

" قبل أن أنزع الأغلال ، عليك أن تعدني أنك لن

تحاول منعي من الرحيل. فعلي أن أرى لوسي الليلة،

وأتأكد من أنها ستستقل تلك الطائرة "

فتصدق في كلامه:

" سأعدك مقابل وعد منك ، عديني أنك ستعودين ما

" إن تسافر لوسي بالقطار غداً صباحاً "

أومأت برأسها وقالت:

" حسناً، أعدك بأن أعود حالما نودع لوسي في المحطة "

ورد :

" اتقفنا "

لم تكن متأكدة من أن بإمكانها الوثوق به، إلا أنها

أخذت نفساً عميقاً ، وفكـت الـاغـلال .

ولـما سـقط ذـراعـاه، أـجـفـل ، قـبـلـ أنـ يـئـنـ أـمـاـ.ـ وـمـالـبـثـ أـنـ
رـاحـ يـفـرـكـ ذـرـاعـيهـ.

" يا إلهي ، أـعـانـيـ أـكـثـرـ التـشـنجـاتـ سـوـؤـاـ "

لـكـنـ كـلـيرـ لـمـ تـنـتـظـرـ .ـ فـرـغـمـ وـعـدـهـ ، قـرـرـتـ أـلـاـ تـجـازـفـ ،
وـمـاـ أـنـ نـزـعـتـ الـقـيـودـ، حـتـىـ نـهـضـتـ وـحـمـلتـ الـهـاـفـتـ
مـعـهـاـ، ثـمـ اـتـجـهـتـ إـلـىـ الـبـابـ سـرـيـعاـ.ـ وـمـعـ أـنـهـ سـمـعـتـهـ جـيدـاـ
وـهـوـ يـسـتـقـيمـ ، وـيـتـقـلـبـ عـلـىـ السـرـيرـ، إـلـاـ أـنـهـ أـيـقـنـتـ أـنـهـ
بـعـيـدةـ عـنـ مـتـنـاـوـلـ ذـرـاعـيهـ، فـمـاـ زـالـ عـلـيـهـ نـزعـ حـبـلـ
الـغـسـيـلـ عـنـ رـجـلـيهـ الـمـكـبـلـتـينـ.ـ وـلـاـ تـعـدـ هـذـهـ بـالـمـهـمـةـ
الـسـهـلـةـ ، لـأـسـيـمـ أـنـهـ تـكـبـدـتـ عـنـاءـاـ كـبـيرـاـ ، كـيـ يـصـعـبـ

على أي كان فك الحبل. وأخيراً قالت من فوق

كتفها:

"سأعود في الصباح، فأخلد إلى النوم "

وتجاهلت العبارة النابية التي تفوه بها دنزل.

وما أن وصلت إلى المنزل ، حتى توجهت إلى غرفتها،

واستلقت على السرير، من غير أن تبادر إلى تغيير

ملابسها. راحت تصغي إلى الآنين المكتوم الذي

وصلها من غرفة لوسي ، وبعد دقيقة ، توجهت إلى

هناك، أدارات زر الكهرباء.

جلست على السرير بجانبها، وتناولت منديلاً من على

الطاولة المجاورة ، وراحت تمسح دموع أختها برفق.

"ما بالك؟ سمعتك تبكي."

فارتعشت شفاتها، ثم انفجرت غاضبة بنبرة لم تعهد لها

كثير من قبل:

" هل كنت تسترقين السمع مجددًا؟ ألا يمكنني البكاء "

بسالم في هذا المنزل؟ "

وما لبشت أن بدأت تشكو:

" آه يا كلينير... لقد ألغيت تجربة الفيلم، وسيرحل ثانية،

ولن أمثل في أي فلم بعد ذلك "

فتمتمت كلير بصدق: " لا يفاجئني ذلك "

ثم تناولت فرشاة من على الطاولة ، وبدأت تسريح شعر

أختها الأشعة.

" أظن أن تجربة الفيلم حيلة يمارسها على كل النساء

اللواتي يطاردهن. "

ولما كانت لوسي تحب أن يسرح لها شعرها ، فقد

خفف عنها ذلك ، وسرعان ما تنهدت :

" كنت محققة بشأنه "

" نعم. "

عندئذ أخرجت بطاقة السفر من جيبيها، وأضافت :

" حسناً، يمكنك استعمال هذه إذا أردت "

فنظرت إليها لوسي بتعجب وكأنها تتطلع إلى أرب
أخرجته كلير من قبعة.

" ما هذا؟ "

" افتحيها وسترين."

أخذتها لوسي بريب، ثم فتحتها وهي تحاول أن تقرأها

" رحلة إلى أفريقيا! ولكنني لا أفهم، فالرحلة عند

صباح الغد، غير أن ..."

" إن لم ترغبي في السفر غداً يمكنك تغيير الموعد ،
شرط أن تخبرهم بالأمر سلفاً. ولكنني اتصلت بمايك
وأعلمته بمجيئك."

ففرغت لوسي فاها، وهي لا تصدق، ثم انحمرت
أسئلتها:

"اتصلت بマイك؟ أخبرته؟ متى؟ ومتى اشتريت البطاقة؟"

"بل ما كل هذا؟"

حافظت كلير على هدوئها ، وهزت كتفيها بلا مبالغة
ثم ابتسمت لها، وقالت :

" وما همك ؟ عليك اتخاذ قرارك قبل فوات الاوان
فقد حجزت لك في القطار غداً باكراً. كما حجز
لك مايك بدوره غرفة في فندق قرب المدرسة. وقد تم
تدبير كل شيء . ولم يبقى إلا تحضير أغراضك وركوب
هذا القطار"

حدقت لوسي فيها بثبات وهي تعبس ثم سألتها :

"ومتي فعلت كل هذا؟"

"منذ يومين تقريباً."

" ولكن ... لماذا؟ ولم لم تخبريني؟ ماذا يجري هنا؟"

"لقد قلت لك إني لم آصدق حكاية تجربة الفيلم قط."

و كنت متأكدة من أنها مجرد حيلة. "

فغضت لوسي على شفتيها وقالت :

"لا بد أنك تعتبريني غبية"

لكن كلير ابتسمت لها ابتسامة ملؤها المحبة، وأجابت :

"كلا، بل صادفت مصاص دماء عاشق، وحسب. وقد

سجل هذا الرجل تاریخاً في افتراس النساء

التعيسات. فهو يظهر بداية تعاطفاً ودعمًا ودودين، إلى

أنه ينتهي في فراشهن. وما إن ينال مراده ، حتى يطيري

إلى مكان آخر "

فقهقت لوسي بعصبية، قبل أن تسأله كلير:

"أليس هذا ما حدث معك؟ كنت تعيسه بسبب

مايك، إلى ان اقتحم حياتك بتفهمه، ولطفه، حتى لم

يعد بوسعك الا تحبّينه. ومن ثم ، حاول جذبك الى
فراشه. "

فعلا الا حمار وجه لوسي:

" لم أخبرك بذلك قط ! "

لكن كلير ردت بكاربة :

" لم يكن من الصعب علي أن أتكهن . إذ يمكن للمرء
أن يتتبأ بتصرفاته. وهكذا ، كنت متأكدة من أنه لا
ينوي ضمك الى فريق الفيلم . وقلقت عليك ، بل
خشيت أن تكون المسألة بمثابة القشة الأخيرة ، بعد
مشاكلك مع مايك، لذا ، بدأت أعد هذه التدابير فإن
خضعت لتجربة الفيلم فعلاً، أو جل موعد الرحلة الى
حين، لذا، لم تكن المخاوف كبيرة. كما أنك تحتاجين الى
عطلة يا لوسي، فقد أرهقت نفسك في العمل. ومن
هنا، اعتقدت أنك بحاجة لرؤية مايك، ومناقشة بعض

المسائل معه، وهي مسائل لا يمكنك مناقشتها عبر الهاتف، او عن طريق الرسائل، بل عليك رؤيتها ، وجهاً لوجه "

وما كان من لوسى الا أن عضت على شفتها ، وهي عاجزة عن التوصل الى قرار ، ثم قالت وقد تشعث شعرها الاشقر، وازدادت ارتباكاً.

" لا أدرى ماذا أقول. "

" قولي إنك ستدھین وحسب ! "

وما لبست لوسى أن عانقتها وهي تکاد تنتحب:
" أنت رائعة ! وأنا شاكرة لك جداً يا كلير... ولن
أنسى ذلك أبداً..."

" لا أرغب الا في رؤيتك سعيدة يا لوسى. وأظن أنك
وما يك مناسبين لبعضكمما ، فهو سيسعدك كثيراً . ولم
أرد أن تخسريه من أجل ثمن البطاقة فقط. وبما أن

الارباح كانت وافرة هذه السنة، فيمكنني أن أرسلك
والآن ، أتفضلي تحضير حاجياتك ، أم ترك هذا إلى
الصباح، ومحاولة الخلود إلى النوم؟ "

فهتفت لوسي :

" بل سأحضرها الآن. وباستطاعتي ان انام في القطار
غداً "

وقفت عن السرير ، وقد امتلأت حيوية وإثارة ، ولم
يستغرق منها توضيب أغراضها إلا نصف ساعة، لا
سيما بوجود كلير ، التي سرعان ما أجبرتها على نيل
قسط من النوم.

ووعدتها وهي تطفئ النور :

" سأوقظك في الوقت المناسب صباح الغد "

ثم توجهت إلى غرفتها، واستلقت على السرير بدون
ان تبدل ملابسها، وهي تحدق في الظلام . في الواقع ،

لم تحس بوخر الضمير لأنها أخفت الحقيقة عن لوسي.
فلو أنها لم تكذب عليها ، لرفضت لوسي أن تركب
هذه الطائرة ، وخسرت الرجل الذي آمنت كليّر أنه
المناسب لأختها.

وهي مقتنعة أيضاً أن لوسي لن تفوت عليها مستقبلاً
مهماً في التمثيل، ولم تخضع لتجربة الفيلم هذه.
صحيح أنها جميلة جداً، وتملك وجهًا مناسباً للتصوير،
ولطالما أقرت كليّر أنها تبدو مذهلة في الصور، لكنها لم
تظهر أي موهبة في التمثيل. وقد سبق لها أن مثلت في
مسرحيات المدرسة، لكنها لا تتميز بسحر على
المسرح، أو على الأقل ، هذا ما لاحظته كليّر. أما عن
دنزل ، فلم يتظاهر مرة بأنه يؤمن بصفات النجمة فيها
، بل لم يعرض عليها هذه التجربة إلا إظهاراً لطبيته.
ومع ذلك، كانت كليّر متأكدة من أنها لم تخطئ بشأن

دوافعه قط، فلقد استخدم عمله كطعم ليعوي لوسى.

ولا شك أن هذه الخطة المحكمة قد نجحت مع عشرات النساء قبلها. لكن ، من الواضح أنها فشلت مع لوسى.

كان نظرها مازال موجهاً الى السقف، فعبست وهي شاحبة الوجه، باردة. لا يجدر بها أن تفكر فيه. لكن فيما تفكير غيره، ولا شاغل آخر يصرف صورته عن ذهنها ؟ وسرعان ما بدأت الصور المزعجة تتحتشد في مخيلتها. فلم تستطع أن تصدق الذكرى التي تجتاحها أحقاً تصرفت هكذا ؟ ما الذي أصابها بحق السماء؟

لكن صدقها، وطبيعتها الصريحه ، أبيا أن يكذبا . في هذا الظلام الموحش، لم تعد تقوى على إخفاء الحقيقة، أو أنكار مشاعرها نحوه. فأغمضت عينيها ، وتأوهت الذكرى تمزق أحشاءها، وكأنها ابتلعت زجاجاً

مكسوراً. كانت مغمرة به ، الى حد اليأس. لكن،
أيعقل أن تكون بمثل هذا الغباء؟ نعتها هذه الليلة
باجنون، وكان محقاً . فمجرد الواقع في حب رجل
مثله، ضرب من الجنون. ولماذا تطلب الامر منها هذا
الوقت كله كي تدرك ماذا يحدث لها؟ وكيف يخذلها
العقل الذي لطالما تميزت به، هذه المرة؟ لا شك أن
العداء الذي ساد بينهما يوم التقى أعمدها ، ولم تدرك
أنه كان مجرد غشاء يخفي خلفه خطراً حقيقياً . وفي
الليلة الاولى، شغلها القلق على هيلين ، فلم تدرك انه
مصاص دماء سيقدم على أذية هيلين ليرحل بعد ذلك
من دون تردد.

وهاهي الآن تتساءل ، ان كانت تجاذف هي الاخرى
بالاقتراب منه.

لُكْنَهَا لَطَامِلَا كَانَتْ بَارِدَةً ، لَا بَلْ اُمْرَأَةٌ أَعْمَالٌ مُّمِيَّزَةٌ
وَاقِعِيَّةٌ وَمُتَزَّنَّةٌ ، وَقَدْ أَقْنَعَتْ نَفْسَهَا أَنَّهَا لَنْ تُسْمِحْ لِأَيِّ
رَجُلٍ بِأَنْ يَؤْذِيهَا مُجَدِّدًا ، وَأَنْ هَالٌ ، الَّذِي كَسَرَ قَلْبَهَا
، قَدْ عَلِمَهَا الْحَذْرُ مِنَ الْوَقْوَعِ فِي غَرَامِ الرَّجُلِ غَيْرِ
الْمُنَاسِبِ . وَحِينَ اسْتَرْجَعَتْ بَعْضُ الْمُشَاهِدِ الْخَاطِفَةِ ،
تَسَاءَلَتْ إِنْ كَانَتْ لَمْ تَدْرِكْ مِنْذَ النَّظَرَةِ الْأُولَى أَنْ دَنَزَلَ
بِلَالُكَ سَيَهَدِّدُ سَلَامَهَا الدَّاخِلِيِّ . تَرَى ، أَلَمْ تَعْرِفْ مِنْذَ
الْبَدَائِيَّةِ أَنْ تَأْثِيرُهُ سَيَكُونُ عَنِيفًاً كَالْزَلْزَالِ؟ وَإِلَّا ، لِمَاذَا
كَانَ الْخُوفُ الشَّدِيدُ يَسْتَبِدُ بِهَا كَلِمَا قَابَلَتْهُ؟ وَلِمَاذَا
رَاوَدَهَا عَنِهِ كُلُّ هَذِهِ الْأَحَلَامِ الْمُزَعِّجَةِ؟

لَقَدْ نَجَحتْ فِي إِنْقَاذِ أَخْتَهَا مِنْ مُخَالِبِهِ ، لَكِنْ ، مِنْ
سِينِقْذَهَا هِيَ؟

7 - المواجهة الصعبة

وفي صباح اليوم التالي ، وخلف ستار ذهبي خفيف،
قادت كلير السيارة الى كوخها ، وهي في حال من
الانفعال الشديد.

فكرت في أن الربيع قد حل أخيراً! ويبدو أن هذا
اليوم سيكون صافياً، من دون غيمة في السماء. والى
جانب الباب الامامي ، تفتحت براعم الزنبق الأزرق ،
لتكشف عن وريقات ملتفة، وعبر ذكي يدغدغ
الانفاس.

توقفت كلير لتنشق الاريج ، وهي تدرك أنها لا تقوم
الا بتأجيل موعد دخولها الكوخ، وصعودها السلام.

كانت قد ودعت لوسي عند محطة القطار، ثم قادت السيارة إلى الكوخ بتمهل، وهي شاحبة الوجه، خائفة. وأدركت أنه لم يكن بوسعها أن تبقيه مقيداً. لكنها ، في الوقت نفسه امتلأت رعباً وهي تفكّر في ما يقدّم عليه حين يتحرر .

عضت شفتها ، وقد استحال وجهها قرمزيّاً، وهي تذكر الليله الماضية وما لبّثت أن تأوهت بصوت عال:

" لماذا أقدمت على ذلك؟ ما الذي أصابني بحق السماء؟ "

ولكن ، عليها أن تتقبل الحقيقة إنها مسلوبة الإرادة. فمنذ أن وقعت عيناهما على دنzel للمرة الأولى، وهي مسلوبة الإرادة، وكأنها خاضعة، مهووسة، وقد سيطرت على عقلها صور غريبة ، وباتت أحلامها حسية. ولو أنها عاشت في العصور الوسطى ، لا عثروا

ان الشيطان قد تلبسها . وفي الواقع ، ما من صفة
تناسب دنزل أكثر من هذه .

أغمضت عينيها ، وقد أسندت وجهها الى الحائط
الحجري . إنني أفقد رشدي ، فأنا أكلم نفسي ، وأعاني
الهلوسات ، بل تراودني أغرب الاحلام ... فما بالي ؟ مما
أشكوا ، عدا عن وقوعي في حب آخر رجل في العالم
قد تفك في أي امرأة عاقلة ؟

صرخت وهي تحدث نفسها مجدداً : " أصمتي ! "
فما الفائدة من الجدال ، انا عليها الدخول الى الكوخ
، ومواجهة مصيرها .

ومالبثت أن أدارت المفتاح في القفل ، وفتحت الباب
وقفت في الرواق الضيق تطرق السمع .

ما من صوت . أغلقت الباب بهدوء ، وبدأت تصعد
السلام على رؤوس أصابعها ، وتتوقف بين الحين

والآخر لتصغي مجدداً. وحين بلغت أعلى الدرج، سمعته يتنفس .لبثت مكانها ، ونبضها يخفق في حنجرتها، ثم سجلت وجود صوت هاديء منتظم، فاطمأنت الى أنه نائم.

بعقدورها إذاً أن تتسلل الى الداخل ، فتلقي اليه بالفتح من غير أن توقظه ، ثم تفر خارجاً. وخاجلها شعور مزعج بالارتياح ، فدفعت باب غرفة النوم بحدر، وبعد ثانية ، فق قلبها بسرعة ، وقد وقع نظرها عليه. كان مستلقياً على ظهره ، وعييناه مغمضتان، فيما أهدابه السوداء منسدة على وجنتيه الشاحبتين . أما صدره فمكشوف كحال كتفيه، لا سيما أن الغطاء لا يغطي سوى القسم السفلي من جسده. وأضفت ستائر المسدلة على الغرفة ظلالاً غامضة. لكن ماذا

لو لم يكن نائماً حقاً؟ ماذا لو كان يتظاهر بذلك ، كي

يوقعها في الشرك؟

وأمعنت النظر فيه . لا... لو أنه يمثل فعلاً، لما فغر فاه على هذا النحو.

وشرعت كلير تقدم نحوه بحذر ، وهي تنوي أن تضع المفتاح فوق المنضدة قرب السرير، لتنسل إلى الخارج مجدداً. لكن ما إن بلغت منتصف الطريق، حتى تقلب في مكانه بقلق . فما كان منها إلا ان جمدت في مكانها. وراحت تراقبه وهي مستعدة للهجوم إن استقام على السرير.

لكنه رف جفنيه، وتنفس بسرعة، ثم راح يئن ، وهو يلوي رأسه من جانب إلى آخر. إلا أن كلير لم تسمع دمماته، وبدت كلماته غامضه وصوته أجش. وبعدئذ، صرخ بطريقة، زرعت فيها رعباً عظيماً. لم

يسبق لها أن سمعت هذا الخوف ، بل هذا الالم في صوت رجل من قبل. وبلغ بها القلق حد الهروع الى سرير ، واجلوس بقربه، لتهزه بعنف، قائلة :

" استيقظ يا دنزل ! "

فتغيرت حركة تنفسه ، وصرخ كما المصايب بصدمة ، ثم فتح عينيه، ونظر إليها بغرابه ، وهو متصلب الجسم ولدققة، أيقنت أنه لا يدرك من هي، إلى أن تلعثم:

" ما ... ما الأمر ... ؟ كlier؟ "

فردت بارتعاش:

" كنت تحلم... لقد انتابك كابوسٌ "

شحب وجهه حتى استحال ناصع البياض، وبدت عيناه شديدة السواد:

" وكيف علمت؟ ماذا قلت؟ "

ولما رأت ارتباكه ، نظرت اليه غير مصدقة ، فهذا لا يناسب الرجل الذي تعرفه . غير انها سارعت لطمئنه

بدافع غريزي:

" لم تكن تتكلم بل تصرخ . "

ومهما كان الحلم الذي راوده ، يمكن لكثير أن تجزم أنه يedo وكأنه رأى الجحيم بعينيه . ومع ذلك ، بدا كل همه ألا يعرف أحداً سبب تلك الكوابيس التي غزت مخيلته .

وتنهد بثاقل ، ثم وضع ذراعه على وجهه ، في حركة مستها في الصميم ، بدا لها أشبه بطفل يحاول أن يختبيء ، وقبل أن تدرك ما تتقوم به ، أزاحت خصلاته شعره الأسود عن جبينه ، ثم تمنت بنعومه :

"أنت بخير الآن . لقد انتهى الكابوس وحل الصباح "

وبصوت لم تسمعه قبلًا ، رد بانزعاج:

" بل لن ينتهي أبداً. فتلك هي حال هذه المسائل.
تعود علينا في الاحلام مراراً وتكراراً، كين نكون نيااماً،
وقد رمينا بأسلحتنا جانبأً "

ترددت كلير ، ثم قالت بصوت يخالطه الشك
والاجفان:

" يبدو الامر خطيراً. هل تريد التحدث عنه؟ "

فضحكت بصوت خشن وقال:

" وماذا تتوقعين؟ سراً رهيباً ومخيفاً؟ كلا يا كلير، ما
من سر غريب أو خاص في كوابيسي. مجرد ذكريات
من الطفولة، كان يجب ان ادفنهها منذ مدة طويلة "
وغمّرها الارتياح لبرهة، لكنها مالبشت أن تذكرت
الأصوات التي أصدرها، فعبست وقد أيقنت أن هذا
الرعب حقيقي ولا يحتمل. سأله، وهي تدرك أنها تجتاز

طريقاً وعراً، وأن عليها أن تخطو كل خطوة بحذر

شديد:

"هل كانت طفولتك تعيسة؟"

كانت تعرفه بما فيه الكفاية ، لتجزم أنه ليس من الرجال الذين يفصحون عن مشاعرهم الخاصة، وهو يماطلها في ذلك سرية . ومن هنا، لسعتها المفاجأة، حين اكتشفت للمرة الأولى في حياتها، أنها يتشاركان بطريقة ما.

وبعد صمت طويلاً، تذكر دنزل بخسونه:

"لقد تخللتها بعض للحظات التعيسة."

فتنفست بعمق، وقد أجهلها ما شعرت به من سعادة ، حين أجابها ، ولو بهذا القدر من الكلمات . وسرعان ما أحست كمن أقنع طيراً برياً بالتقاط بالبذور من يده.

ثم سأله بحذر، إنما بنبرة حاولت مابوسعها لتبدو

عادية:

" ألم تتفق مع والديك؟ "

فقهقه بغضب، ثم أخفض ذراعيه ، ونظر اليها بعينين

رماديتين حادتين :

"والدي؟ حين بلغت الثانية من عمري، هربت أمي مع
رجل آخر. أما والدي، فلم يعرف ماذا يفعل بي.لذا ،
رماني لأخته، ثم اختفى بدوره. وكان لأخته أربع صبيان
، بلغوا سن المراهقة. ولو قلت إنهم لم يرغبوa في
وجودي ، للطفت الحقيقة. فقد كان شغفهم الشاغل
أن يحيوا حياتي جحيمًا، لا سيما أن مخيلتهم كانت
واسعة. "

فأجفلت وسأله:

" أتعني أنهم عذبوك؟ "

" فكروا في مئات الوسائل ، ليدفعوا صبياً صغيراً إلى حد تمني الموت. "

واجتاح الرعب قلب كلير، وقد حدق في عينيه قاتمتين:

" لكن... لم لم تخبر أحداً... كعمرك ، أي أحدهم؟ لم لم تخبرها؟ "

فزادت السخرية ملامح وجهه حدة:

" كانوا أذكياء. فلم يتركوا آثاراً على جسدي ، بل في عقلي وحسب. ولم ترغب عمتي فلورا في رؤية ما لا تريده رؤيته. فهي لم تكن تريدين بدورها طبعاً، لاسيما أنها أرملة، ولا تملك الكثير من المال. ولم تستقبلني إلا لأنه واجبها، كما أخبرتني مرات عديدة. إنها امرأة متدينة، تؤمن بالواجبات ولا تكشف عن عواطفها الانسانية، إلا في ما يتعلق باولادها ، ولقد أشرفت

على غذائي ، وملبسي ، كما واظبت على اصطحابي الى الكنيسة مرة في الاسبوع. ولم تكن قاسية القلب، بل مجرد امرأة غير مبالية. كما أن الوضع لم يكن بهذا السوء عند وجود الصبيان في المدرسة، لكن أيام العطل ونهاية الاسبوع كانت مرعبة في نظري. وقد كرهت الميلاد خاصة ، يضطر الجميع الى قضاء الوقت في المنزل بسبب حالة الطقس، مما يدفعهم الى البحث عن وسيلة للتسلية، أي أنا. فيمارسون مداعباتكم السمجة، كما يسمونها، الى ما لا نهاية.

وحين يطلق الناس هذا المزاح عبارة مداعبات سمجة، فهم يقصدون مداعبات قاسية كما تعلمين. فهذا المزاح ينطوي دائماً على القسوة ، التي لا تعجب الضحية أبداً. وهنا ، تختتم كلير بهدوء:

"أعرف ماذا تعني. فأنا أكره المداعبات السمجة،

حين أكون هدفها. قل لي، اينواع من المزاح كان؟"

فكشر وقال:

"آه ، كانت خدعاً تهدف الى الاغاظة في معظم

الاحيان. لكن حين يكون المرء في الرابعة من عمره ،

فإنه يراها العذاب بعينه. وحين بلغت ميلادي

الخامس، غمرها سريري بإبر أشجار الصنوبر،

وأجبروني على الاستلقاء فيه، صحيح أنني لم أحضر ،

لكنها خدشتني كالقراص. وفي بعض الاحيان، كانوا

يدفعونني الى خزانة تحت السالم، ويحبسونني فيها.

لطالما أربعني الظلام الدامس الذي يغمر المكان. ومنذ

ذلك الحين ، وأنا أعاني رهاب الاحتياز. وقد اعتادوا

إخفاء هداياي ، او رميها حتى تتكسر، ثم يتذكونني

لأتلقى اللوم. وبما أن عمتي تؤمن بالعقاب الصارم،

فقد اعتادت ضري جزاءً على ما يقترفه أولادها.
وأذكر لعبة كانوا يحبونها كثيراً، وتدعى الكعكة المحمصة ، ووفيها يسكنوني فوق النار، ويتظاهرؤن بتحميصي .
ومع أنهم لم يوقعوني مرة . لكنني لم أكن متأكداً من نيتهم . في الواقع، كانت هذه القسوة العقلية نمذجية، أي أنني لم أكن أهتم لما يفعلونه بي، بقدر ما يقلقني ما قد يفعلونه لاحقاً. وكانوا يقدمون على لوي ذراعي، ونتف شعري كلما رأوني ، وكأنهم يرفسون أي كلب ".

في تلك الاثناء كانت كلير تحاول مقاومة دموعها ، وقد شحب وجهها . وتملكتها مزيج من الغضب والألم وهي تخيل صبياً صغيراً يتيم الألم ، يحاول أن يتحمل كل هذه الصعوبات.

ومالبثت أن سألته بصوت أحش:

" وكم من الوقت مضى قبل أن تتغلب على كل هذا؟ "

"

فكشر وأجابها:

" خيل الي أن الوقت أبدی، لكنها كانت خمس سنوات أو ست تقريباً، على ما أعتقد. وحين بلغت الثامنة، كانوا قد تخرجوا من مدارسهم ، وبذؤوا يعملون او يرتادون الجامعه، وقد ملوا من التسلی بتعذيبني " .

ففکرت بصوت عال:

" الأن فهمت لم تكره الميلاد "

عندئذ رماها بنظرة جانبیه سریعة وسألها :

" هل أخبرتك بذلك؟ "

ولما أومأت برأسها ، ابتسم وهو يلوی فمه :

"نعم ، في الواقع، كان عيد الميلاد أسوأ يوم في السنة، وكم كرهت التعارض بين كلام أمهم عن ضرورة انتشار المحبة بين الناس، وبين ما يقترفه أبناؤها بحقي، بعلم منها أو من دون علم. "

فقاطعته وهي جزعة:

" وكيف أمكنها أن تفعل هذا؟"

"أظنها لم تكن ترغب في الاطلاع على الامر . ألا تفضل الأمهات أن يؤمنن بكمال أولادهن، لاسيما في فترة الميلاد؟ تعلمت أن أكره الموسم بأكمله، من الخدمات في الكنيسة ، إلى ترانيم الميلاد، ببطاقات العيد بكلماتها المحبة، هذا إلى نباتات البهشية والاشرطة اللامعة. وبذا لي أن في العالم أجمع عائلات تجمع شمل أفرادها ، وكانت برامج التلفزيون تحفل بأفلام قديمة العهد، فيما الترانيم لا تنقطع مطلقاً من

المذيع... ولم يكن باستطاعة المرأة أن يهرب من هذا الجحود أينما ذهب. أما أنا ، فقد اعتبرت كل ذلك مجرد

"حالة زائفة. "

"أتفهم لما فكرت بهذه الطريقة. "

ولم تشاً أن تجادله ، فليس الأوان أو المكان مناسبين لتناول أن تغير نظرته إلى الميلاد. وبدلاً من ذلك ،

قالت بنعومه:

" لا عجب أن الكوابيس تنتابك. يبدو أن ما حدث في طفولتك قد ترك فيك أثراً لم يتركه أي حدث آخر في حياتك، أليس كذلك؟ "

فتذمر ، والساخرية في عينيه، ثم قال:

"هذا ما يبدوا . ياللتفاهة! ألا توافقني الرأي؟ ها قد مرت عشرون سنة تقريباً على مون عمتي ، ولم يقع

نظري مرة أخرى على أي من أبنائهما. كان علي أن

"أنسى ما فعلوه بي، ولكن ..."

وهز كتفيه استهجاناً، قبل أن يضيف بسطحية :

"من الغرابة أنها ماتت فجأة في عيد الميلاد، إثر نوبة"

قلبيه. وبما أن أحداً لم يلاحظ قبلًا أنها تعاني من

"القلب ، فقد كانت الصدمة عنيفة. "

ومالبث أن صمت عن الكلام ، وهو شاحب الوجه

: بعدها، هتف بصوت خشن :

"لا . ليست هذه الحقيقة الكاملة. لم يحدث أن

أخبرت أحداً بهذا، ولكن ما جرى بسببي. فأنا من

"تسبب لها بتلك النوبة القلبية. "

ففي يوم الميلاد ذاك ، كان ابنا عمتي قادمين مع افراد

عائلاتهم، لا سيما بعد أن تزوج اثنان منهم، وانجبا

الأطفال. أما الاثنان الباقيان ، فقد استعدا للمجيء

مع صديقتيهما. وكادت عمتى تطير من الفرح. وظلت طيلة الوقت تمدح الميلاد على أنه يوم رائع تجتمع فيه العائلة . ثم راحت تثنى على أبنائهما المحبين. وفجأة فقدت أعصابي ، وأخبرتها أي نوع من الوحوش القساة "هم أبناؤها، وكم أكرههم..." .

ثم صمت وهو يتنفس بارهاق، ولا حظت كlier كم ترتعش يداه. فأمسكتهما معاً، وقد أخافتها النظرة على وجهه .

وحدق في أيديهما المتشابكة ، قبل ان يرميها بنظرة مستغربة:

"هل تبدين نحوي لطفاً وتعاطفاً يا كlier؟"

فتوردت وجنتها لما سمعته من تهكم جاف ، وحاولت أن تسحب يديها ، لو لم يشد قبضته.

"أنا لا أحاول أن أهاجمك. لكنني غالباً مشاركت في هذا المشهد، عادة أكون المستمع الجيد، فأصغي إلى الناس، وهم يفصحون عن مشاكلهم . أما هذه الطريقة، فلا. غالباً ما يكون جزءاً من عمل المخرج، لاسيما حين يعمل مع ممثلين انفعاليين ومزاجيين. " فأشارت كلير بنبرة جافة :

"ولا سيمما إن كن ممثلات جميلات...."
التفت إليها وقد التمتعت التسلية في تظراته:
" يا لها من ملاحظة خبيثة ! "

فازداد التورد على وجهها . ترى ، هل اكتشفت نبرة غيرة في صوتها؟ لو فعل، فلن تسامح نفسها أبداً.
وأضاف دنزل بجفاء:

" علي أن أقر أن تجربة الوقوف من الجهة الأخرى للكاميرا جديدة. لكن ، لا أريد لذكرياتي المثيرة للشفقة

أن تصييك بامللل. فما من كلام يضجر أكثر من

"ذكريات إنسان آخر"

فطمأنته بكلمات عنتها فعلاً:

"لكنك لا تشعرني بامللل!"

وكشف ملامح وجهه عن سخرية وهو يقول :

"لا أريد إخبارك بالمزيد، حرصاً على صوري."

ثم توقف وهو يعبس، قبل أن يضيف بلهجة فظة :

"أردت أن أؤذى عمتي. لقد تملكتني الغضب حين رأيتها بهذه السعادة والرضى عن نفسها وعن صبيانها.

وظلت أتذكر أعياد الميلاد التي مرت بي ، أنا الذي

لطالما بقىت غريباً في ذلك المنزل، أنا الذي لطالما

تجاهلوني أو ضايقوني... وشعرت بموجة عاتية من

الغضب ، فهتفت بالحقيقة في وجهها، و كنت في تلك

المراحلة من المراهقة حين يبدأ المرء بالثورة ، وبررت

لنفسی قولي الحقيقة. وبالطبع لم تصدق کلامي، أو على الأقل لم تقره. وبدأت تصرخ بدورها... وفجأة، أخذت تختنق وهي تقپض عى صدرها. وما لبست أن ترنيت، وطالكت على الكرسي. فخفت ، وما كان مني إلا أن انحنيت نحوها لأنها إن كانت بخير. لكنها ضربتني ، لتكون هذه ضربتها الأخيرة. "

ورفع رأسه مجددأً، ونظر الى کلير وهو شاحب

الوجه، ثم قال:

" آخر ما فعلته هو ضري، ومن ثم ، لفظت أنفاسها الأخيرة، من غير أن أحاول مساعدتها. "

وشعرت کلير برغبة قوية في إحاطته بذراعيها. ولكن خوفاً من ذلك ، شدت من قبضتها على يديه وعلقت:

" لا بد أنك خفت كثيراً. فقد كنت كجerd مراهق يشعر بالذنب... وأظن أنك لم تدرك ما لعمل ، أليس كذلك؟ "

" في الواقع، لم تكن لدى أدنى فكرة . ففي لحظة ، كانت تصدر هذه الجلبة الرهيبة ، لتتوقف عن التنفس في اللحظة التالية. "

ونظر الى كلير بثبات ، وعيناه شديدة السوداد ، قبل أن يضيف :

" لم أحawl أن أساعدها حتى ، وهذا ما لا يمكن أن أنساه أبداً. بل وقفت هناك، أحدق فيها، وكأن عقارب الزمن قد توقفت . وأظن أن نفسها الأخير قد أحالني ... لا أدرى ... خدراً. وبدا لي غريباً، ان يكون آخر ما أقدمت عليه هو ضريبي. "

فتمتمت بنعومه:

"كنت في حالة من الصدمة "

"أظن ذلك . وكل ما أعرفه أنني وقفت ، فاغر الفم، ومن ثم ، تملكتني الرعب الشديد . ولم أحاول أن أقوم بالإسعافات الأولية، بل اكتفيت بالهرولة والاتصال بسيارة إسعاف . وأخيراً جاء الطبيب، وأخبرني أنها ماتت في الحال ، لكنني لم أتأكد قط من صحة كلامه.

"

"كنت مجرد طفل يا دنزل ! ولا عجب إن انتابك الرعب الشديد ."

"لست أدرى . ربما ، إن فعلت شيئاً... كالتنفس الاصطناعي مثلاً، أو محاولة انعاش قلبها مجدداً، وكانت نجت من الموت . لكنني لن أعرف ذلك أبداً ."
وشعرت كلير برغبة في البكاء . فعيناه أشبه ببئر عميقه، مظلمة من الألم ، وماليثت أن همست :

" وقد لازمك الشعور بالذنب منذ ذلك الوقت "

ابتسم ابتسامة ملتويه وقال:

" منذ ذلك اليوم ، وأنا أحاول أن أنساها. لكنك

محقة، فقد شعرت بالذنب فعلاً. وحري بي ذلك. لقد

منحتني مأوى حين لم تكن مضطرة لذلك ، ولم تكن

هي من أساء معاملتي، بل أبناؤها. وهم الان،

بالم المناسبة، أعضاء في المجتمع يحظون بالاحترام على ما

أظن. ولو سوء حظي كانوا في تلك المرحلة القاتلة من

المراهقة حين ظهرت بينهم. فأنت تعرفين أن المراهقين

يمرون بمرحلة يخيفون فيها غيرهم من الأطفال، مجرد

التسليه. ولا يمكنني أن ألوم عمتى على ذلك، كما لا

يمكنني أن أحملها ذنب العوشاطف التي لم تظهرها لي،

" لا سيما أن لها أربعة أبناء من لحمها ودمها "

ولبرهة ، ساد بينهما الصمت ، قبل أن تساله كلير :

" وماذا حدث بعد موت عمتك؟ "

" في ذلك الوقت، كان أبي قد مات بدوره ، أو ضاع في البحر قبل سنتين ، فيما كان يعمل ضمن طاقم سفينه. أظن أنه قفز من على متن السفينه حين كان ثلاًّ. لكن موته اعتبر حادثاً، رسميأً. "

" وماذا عن والدتك؟ "

" الله وحده يعرف مكانها. ومن يدرى ؟ لعلها ميته أيضاً، ولكن قلما أهتم. فقد اختفت منذ كنت في الثانية من عمري ، ولم يرها أحد أو يسمع عنها منذ ذلك الوقت. وبالطبع، ورث أبناء عمتي كل ممتلكات أمهم، ومن ضمنها المنزل ، وبعض الأغراض الخاصة. وباعوا البيت ، ثم وزعوا الأموال في ما بينهم ، وإذا يجد نفسي من غير مأوى. "

وأجفلت كلير وهي تسمع الكآبة في صوته. لقد فسر لها حديثه الكثير عن شخصيته، وعن كل ما أحسست به منذ التقت به . لقد أحسست حينها أنه رجل انطوائي ، بعيد عن الدفء الانساني، وكأنه يراقب حياة الآخرين من شبابيك مضيئة، فيما هو واقف في الخارج ، في الظلام. نعم، لطالما كان دنzel دخيلاً وما لبشت أن سأله برفق:

"إذاً ، ماذا حدث لك بعدئذ؟ "

وإذا بوميض من التسلية الباردة يلمع في عينيه وهو يجيب:

"صادفي الحظ للمرة الأولى.. على فكرة ، لي نظرية خاصة في الحياة والكون وكل ما يحيط بنا ، و تستطيعين القول إنني أؤمن بالتوازن . فإن عانيت من الحظ السيء مرات عدّة، ستدور عجلة الحظ عاجلاً أم

أجلًا. يمكنك أن تسمى ذلك ماشت: العناية الإلهية،

أو التعويض، أو غيرها.. في يوم ما، سيبتسم لك الحظ. كانت حياتي غاية في التعاسة، إلى أن أصبحت راشدًا تقريبًا. ولكن منذ اليوم الذي قضت فيه عمتي، تبدلت مسيرة حياتي. فقد عرضت علي إحدى معلماتي منزلًا حتى بلغت الثامنة عشرة. وكانت مختلفة جدًا عن عمتي. ومع أن لها أطفالًا أيضًا، إلا أنهم كبروا جميعًا، وانتقلوا للعيش بعيدًا عن المنزل. لذا تحب هي وزوجها أن يستقلان الشبان في بيتهما.

"تحب هي وزوجها أن يستقلان الشبان في بيتهما."

وتغير وجهه، فأضحى أكثر نعومه ودفأً، مما بدل مظهره كله.

وعلقت كلير بتردد:

"يبدو إلي أنهما رائعان"

فابتسم :

" فعلاً . لقد أنعم الله على آل داريل بعقل منفتح ،
وقلب نابض بالحياة . وما زالا على تلك الحال ، رغم
تجاوزهما السبعين من عمرهما الآن . وقد تبدلت حياتي
منذ انتقلت للعيش معهما ، فالتحقت بالجامعة ، حيث
تابعت دروساً في التصوير . ومن هنا بدأت أهتم بهنتي
العتيدة . وما زلت أزورهما من وقت إلى آخر ، ولم أقطع
علاقتي بهما أبداً "

" وماذا عن أبناء عمتك؟ "

فاحتدت ملامح وجهه مجدداً ، ثم أجابها:

" لم أرهم قط "

ثم توقف قليلاً قبل أن يضيف:

" أحاول ألا أفكر فيهم أيضاً ، ولم تعد هذه الكوابيس
تنتابني كثيراً ، إلا إن كنت مرهقاً ، أو أ تعرض لضغط ،
أو مضايقة . فتعود الأحلام إلى الحياة مجدداً . "

وفجأة ، احست كلير وكأنها أصيّبت بصدمة ، وسرعان

ما شحب وجهها ، وشعرت بالسوء ، وعرفت أنها لم

تدرك الأمر حتى هذه اللحظة ، فتمتّمت :

" لقد... انتابك الكابوس الآن ، لأنني قيدتك إلى

السرير... هذا هو السبب ، أليس كذلك؟ "

فهز كتفيه بلا مبالغة ، ولم يجب لكنه لم يكن مضطراً
لذلك. وأدركت كلير ما اقترفته في حقه ، بعد كل هذه

الوحشية التي عامله بها أبناء عمته طيلة هذه الأعوام.

فتعلّمـت :

" أنا آسفة... آسفه جداً. لو عرفت ذلك ، لما كنت

لم لم تخبرني ، بحق السماء ، إنك تعاني رهاب

الاحتجاز؟ لا شك أن هذه الليلة كانت أشبه بكابوس

" بالنسبة لك... ."

ثم توقفت عن الكلام ، وعضت على شفتها السفلية.

فضحك:

" هل كنت لتصدقيني؟ "

فتأوهت وأجابت :

" لا أظن "

وأخرجت المفتاح من جيب سترها، ويدها ترتعش. بعد

ذلك ، أضافت وقد انحبست أنفاسها:

" استقم في جلستك وسأفك حزامك "

وما فعل ، كشف قميصه الأسود الحريري عن

صدره . فبدت كلير من الانزعاج ، ما تطلب منها دقة

لنزع القفل . لكنها نجحت في النهاية ، وحررته ، ثم

ترك الحزام والسلسلة يسقطان أرضاً بجانب السرير .

نمطى وهو يتنهد ارتياحاً ، وقال :

" أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى هَذَا ، لَمْ يَكُنِ الْوَضْعُ مَرِيحًا أَلْبَتْهُ "

فردت بصوت أجش:

"أنا آسفه، لم أقصد أن أوذيك، بل كنت أحاول فقط..."

عندئذ، أجاب بنبرة قاسية:

"أن تحمي أختك مني... أعرف. وأتوقع أن لوسي مضت في سبيلها الآن. متى يحين موعد إقلاع طائرتها؟"

نظرت إليه نظرة غامضة مشككة من بين أهدابها. لعلها شعرت بالأسف نحوه، لا سيما بعد أن سمعت عن طفولته الرهيبة، لكنها لم تكن متأكدة من أنها تستطيع الوثوق به. ولن تتفاجأ إن خذ بشاره منها، لكنها على استعداد للهرب، إن حاول أن يمسك بها. لكنه لم يقدم إلى الآن على أي حركة تهددها.

ومالبثت أن قالت:

" تعلم أنني قمت بالعمل الصحيح ! فهي تحب مايك
فعلاً، وستكون سعيدة معه "

" لست بحاجة الى تبرير نفسك أمامي . فقد تلأعت
بحياة لوسي وليس بحياتي . "

ازداد احمرار وجهها ، وعاد نفاذ صبرها الى الظهور :
" هيا ، أقر بالامر . لم تكن تملك أدنى فرصة في التمثيل
، أليس كذلك ؟ "

هذا كتفيه من غير اهتمام ، ونظر إليها مجدداً وقال
بتهكم :
" أشك في ذلك ، صحيح أنها جميلة ، وأنها تبدو فاتنة
 أمام الكاميرا ، لكنني متأكد من أنها لا تستطيع التمثيل
 ، بما إنني سبق وعملت معها في المهرجان . وقد
 راقبتها وهي تحاول أن تعلم الأطفال التمثيل ، وأخشى
 أنها تبدو خرقاء تماماً . "

"أعرف . وأذكر أيام مسرحيات المدرسة ، حيث كانت تبدو جميلة، وتتلفظ بنصها بوضوح، لكنها... في الواقع، لم تكن على هذا القدر من البراعة. "

فأجاب دنزل :

" إنها لا تملك من الخيال ما يمكنها من أن تصبح ممثلة. فهي سعيدة بنفسها لدرجة تمنعها من البحث عن شخصية أخرى. والممثلات الماهرات بحاجة إلى هذ . وغالباً ما تجدن أنهن يعانيون من شكوك ذاتيه، ويحتاجن بيس لنوع من الإطمئنان "

" لم اقترح عليها الخضوع لتجربة، إن كنت تدرك عدم كفاءتها؟ "

" لم تكن سعيدة، وقد فرغت مني الا صوات المتعاطفة التي أصدرها حين تحدث عن مشاكلها. وارتآيت أنه

من الممتع لها أن تخضع لهذه التجربة، فقد تشغلها عن الصعوبات التي تعانيها ل يوم أو اثنين. وان كان وجهها مناسباً للتصوير كما أظن، قد تشكل فسيفساء جميلة

"في مجموعتي ."

فردت بهدوء، وقد علا الاحمرار وجهها :

"فسيفساء في مجموعتك .."

نظر إليها بجفاء، وقد لاحظ نبرة صوتها، فتوسع

شرعاً:

"أعني الصورة النهائية التي أحياول أن أركبها. فلا بد

أنك استنتجت من الرسوم التخطيطية التي سبق

ورأيتها، أني اعتبر كل مسرحية رسمأ معيناً. ولوسي جميلة

"طبعاً "

كانت كلير تنفس بسرعة ، وقد انقبضت يداها. مما

دفعه الى النظر اليها بتفكير عميق:

"ها أنت غاضبة مجددًا!"

"كدت تقضي على حياة لوسي ، ثم تتحدث عن قطعة من الفسيفساء، فكيف تتوقع مني ألا أغضب ؟"

"

ومالبثت أن تذكرت ما أخبرها به عن طفولته، عن الكلام، وهي تعجب شفتها، ثم قالت على نحو نزق: "أظن أنك لا تستطيع ألان أن تتلاعب بحياة الآخرين ، فأنت لم تتعلم قط أن تهتم بغيرك من الناس" "لا تبدأي بهذه الشرارة التحليلية يا كلير ! فأنا أهتم فعلاً بغيري من الناس ، والا لما شعرت بالأسف على حال لوسي. لقد عرفت أنها تعيسة ، لأنها قصت على مشاكلها. وبقيت لساعات متتالية تخبرني عن ما يك وزواجهما ، وكل العناء الذي تتکبده في المدرسة، وعنك وعن عائلتك. أنا اكتفيت بالاصغاء إليها،

وهذا كل ما أرادته مني. كل ما أرادته هو أن تتكلم
من غير أن تتلقى أوامر."

فردت كلير بمزيج من الحدة والغضب:
"أتسرح مني؟"

"في الواقع حاولت أن تدير حياتها،ليس
كذلك؟ وقد أثبت ذلك حين أرسلتها على طائرة
لتلحق بخطيبها، من غير أن تدرسي الوضع جيداً. كما
جاءت إلى أساليب ضخمة كي تنقذني وجهة نظرك،
حتى ولو كانت تقضي بربطي بسلسلة لساعات
كالكلب."

"سبق وقلت إنني آسفة."
فأسأها ،والظلم في عينيه يدق ناقوس الخطر في رأسها
:

"وهل أنت آسفة لأنك أفقدتني عقلي أيضاً؟"

وما كان منها إلا أن نهضت عن السرير ، وهتفت :

" على أن أمضي إلى العمل..."

لكنها لم تتمكن من أن تخطو خطوة واحدة. فقد

قبضت يدا دنزل على خصرها ، وجذبتها مجدداً إلى

السرير. حاولت أن تخلص نفسها، لكنها لم تنجح الا

في الميل نحوه بعجز، مما دفعها إلى إطلاق صرخة

رعب.

أما دنزل ، فأحاطتها بذراعه. وصدمها الإحساس الذي

تلكلها ، ما إن شعرت به قربها.

إلا أنها ما لبثت أن قالت :

"سأقتلك..."

قاطعها وهو ينظر إليها من خلال أهداب تقاد

تنسدل ، ويتبسم تلك الابتسامة المعدبة:

" حقاً؟ عادة ، لا أصدق تحديداً كهذا، إن صدر عن
معظم النساء، لكنك امرأة غير عادية. وأظنني عرفت
ذلك منذ التقائك للمرة الأولى . قد انتابني إحساس
غريب حين نظرت إليك. أنت متقدة العاطفة يا كلير،
ولطالما ظنت أن الجليد وحده يملاً شرائينك . لكن يا
إلهي ، كنت مخطئاً ، اليس كذلك؟"

ودنا منها ، فراح قلبها يخفق بعنف، حتى عجزت عن
التنفس . القرب منه عذاب حقيقي. أنها تحبه بشدة
وتشعر بأنها تكاد تجن . لكنها لم ترد أي علاقة به،
وهي تدرك تماماً أنه لا يحبها، بل أثارته ذكرى الليلة
الماضية ليس إلا. ومع انه عانقها بشغف أو هنها،
ظلت هذه الافكار تساورها. وهي تعرف قدرة دنزل
على الاغواء، فقد راقبته، وهو يمارس الاعيبه مع
غيرها من النساء... مع هيلين... ومع أختها. لكنه لن

يمارس أي لعبه معها. فتدمرت، وحاولت أن تناضل أو
أن تضربه ليبتعد عنها ويطلق سراحها.

"لن أفعل ذلك. والآن، دعني ارحل... فأنا لا
أريدك..."

لم يتحرك من مكانه، بل أخفض بصره إلى وجهها
المتورد وعينيها القلقتين، وفمها المرتجف، قبل أن
يهمس: "كاذبة. هل تظنين أنني عاجز عن اكتشاف
ما يجري في داخلك؟ هل تظنين أنني نسيت كيف
عذبني الليلة الماضية؟"

ثم أمسك بيدها وجذبها نحوه، وسجنهما بين ذراعيه،
وراح يستمع إلى وقع تنفسها العنيف، ويراقب التوهج
القرمي على وجهها.

"لاتفعل!"

وسألهما بصوت أحش أجفلها:

" هل تعتقدين فعلاً أن بإمكانك دفعي إلى حد الجنون
، ثم الاكتفاء بالرحيل، وتركى طيلة الليل أسير
الاحباط؟ "

" لم ... لم أقصد... أن أثيرك... بل لم أقصد أن أمسك
على الطلق..."
ـ لكنك فعلت يا كلير، سواء إدعيةت بأنك تقصد़ين
ـ ذلك أم لا ! "

" توقف عن الحديث عن الامس! لقد فقدت عقلي،
وقد أصبحت بقليل من الجنون لكنني لم أقصد شيئاً...
ولن يتكرر ذلك أبداً، لذا دعني وشأني فعلي أن
أمضي إلى عملي، وعلى أن أدير وكالي . وإن لم أفتح
بابها ، فستقلق عائلتي وتبدأ بالبحث عني . ولا شك
في أنهم سيأتون إلى هنا ! "

تحرك دنزل وكأنه سينهض. فما كان منها إلا أن
أنتظرت بترقب، وهي ترجو أن يكون متعقاً، أملت
أن تنسح لها الفرصة للهرب. لكنه اكتفى بعد يده إلى
الوسادة، وهو يتمتم:

"ليس بعد . ولعلهم لن يدؤوا بالبحث قبل هذا
المساء . وما زالت أمامنا ساعات قبل أن نتوقع تدخلًا
فإذا به يمسك بذراعها الأخرى، ويلويها إلى ما فوق
رأسها .

وبعد ثانية ، تناهى إليها صوت معدني ، ثم طقطقة
عالية، وما لبثت أن أحست ببرودة حول ذراعها.
فحملقت فيه وكأنها غير مصدقة. ولم تنجل أمامها
الحقيقة إلا بعد دقيقة.

لقد قيدها بعصمه !

8- من الأقوى؟

لبرهة نزل الرعب في قلب كلير، وما بثت أن استبدت بها ردة فعل تماطل الصاروخ اندفاعاً. فصرخت في

وجهه :

" انزع هذه عني ! "

قهقهة وسألها :

" ترى ، أين سمعت هذه الجملة قبلاً؟ "

حدقت فيه، وقد استحال وجهها قرمزيّاً:

" هذه الحالة مختلفة، فقد شرحت لك لماذا اضطررت الى .. آه لا تتصرف بهذه الحماقة، فرد الضربة بضربة عمل سخيف . أعطني المفتاح قبل أن أفقد أعصابي " وعوضاً من أن ينفذ طلبها، رفع المفتاح أمام عينيها، وهو يبتسם ، فيما فاضت عيناه الرماديتان بوميض من السخرية. ولما مدت يدها لttسلمه، رمى به الى اقصى الغرفة. فارتطم بالباب ، ثم ارتد عنه، وانزلق تحت الأدراج قرب الحائط.

فانتفضت كلير من الغيظ، ثم أطلقت صرخة عكست غضبها الشديد :

" آه، أنت رجل غبيّ "

حاولت أن تقفز عن السرير ، عساها تبلغ المفتاح، لكن دنزل كان أشبه بجبل لا يتحرك فلا هي تستطيع أن تنهض من دونه، ولا بقدورها أن تحركه. أما هو،

فبقي مستلقياً، يحدق فيها برقة، وهي تشد بيدها بعيداً عنه بلا جدوى.

وأخيراً نصحها :

"ستؤذين نفسك، ان استمررت في ذلك"

"آه، أصمت!"

"كما أنك لن تصلي إلى أي مكان ، من دوني على أي حال. وبما إنه لا نية لي في التحرك، وبما إنني سالازم مكاني هذا ، فستبقين هنا أيضاً."

وما كان من كلير إلا أن جلست على حافة السرير ، بمزيج من الغيظ واللهاث، وأدارت له ظهرها ، وهي تحاول أن تفكر في ما يمكنها أن تفعله. كان عليها أن تتوقع تصرفاً كهذا. فكيف بلغ بها حد ترك القيود في متناول يده، هذا عدا عن ذكر المفاتيح؟

كانت تتوق فعلاً الى الهروب ليلة أمس، لدرجة أنها اندفعت في تصرفاً منها من دون تفكير . ومن الخطر ألا يقوم المرء بدراسة أي خطة من جوانبها كافية، لاسيما مع رجل كدنزل. فمن المؤكد أنه سيستغل كل خطأ ترتكبه، أو كل ثغرة تنساها. وبدأت يد دنzel تدنيها منه ، وتبعث الارتعاش فيها.

" لا تفعل ذلك ! "

وما كان منه إلا أن جذب القيد فجأة، ففقدت توازنها. ولما انطربت إلى الخلف بعجز، سجن دنzel خصرها في ذراعه الطليقة.

فأطلقت كلير صرخة احتجاج ماتت فيها الكلمات ، ثم رفعت رأسها وقد اتسعت عيناهَا بتأثير الصدمة ، ونظرت إلى الوجه المنحني فوقها.

وما لبث أن تتم بنعومه:

" لا تقولي إنك خائفة. فأنت لا تخافين يا كlier! المرأة التي تلاعبت بي كما فعلت الليلة الماضية لا تخاف. صحيح أنني قلت لأختك لا تستطيع التمثيل أما أنت فتجيدينه. بحق السماء! بل أنا عاجز عن تعدد الأدوار التي مثلتها أمامي! من المعبودة الباردة، إلى امرأة الأعمال القوية، فالإبنه والأخت المحبة، ومدببة المنزل الماهرة... أما ، ليلة الأمس..."

ثم توقف عن الكلام ليرمقها بنظرة جلدية ساخرة:
" ما هو الدور الذي كنت تمثلينه ليلة أمس على وجه التحديد يا كlier؟"
فابتلعت ريقها. وهنا ابتسם مجدداً بطريقة جمدت الدم في أوصاها.

" أم أنك لم تكوني تمثلين؟ "

وكادت عيناه الرماديتان تختفيان وراء رموشه في ويمض
زرع فيها الرعب.

ولما خيل إليها أنها ترى طريقاً للخلاص، قالت بوحى
فجائى :
" بالطبع كنت أمثل ! هذا ما كنت أفعله بالضبط،
كنت .."

وجاءحت لتفكير في تفسير مقبول ، ثم أردفت أخيراً،
من غير أن تكذب تماماً:
" كنت ألقنك درساً "
حينها، أقنعت نفسها بأنها تظهر له شعور المرء
بالحزن.

وتابعت وهي ترمي بنظرة مباشرة باردة :

" لم تسع هذه الفرصة لضحاياك . لكن آن الأوان
ليعلمك أحداً ما كيف يشعر المرء حين يتعرض
للاستغلال والهجر ! "

كان قد توقف عن الابتسام، واجتاح الغضب وجهه
على نحو أفقدها رباطة جأشها، اذ ينذر دنزل بالخطر
في غمرة غضبه، وما لبث أن رد بحدة:

" سبق وأخبرتك أنني لم أستغل أحداً ! وتوقفت عن
التحدث عن ضحاياي ، والا بدoot كقاتل محترف ! "

فبادرت الى القول : " هيلين ..

" لقد شرحت لك قبلأ عن هيلين . فلم تفتحين
الموضوع نفسه مجدداً؟ حين التقيت بها ، كانت تعاني
من اليأس بعد طلاقها ، فتعلقت بي ، لأنني كنت
غريباً لا أعرف زوجها . بل كنت مستمعاً جديداً، إذا
شئت القول . وكان بامكانها أن تلقي بحملها كله

علي، وهي تدرك تماماً أنني لم أثير الاشاعات ، نظراً
إلى أنني بالكاد أعرف مخلوقاً في غريفيهاوي. "

فأجابت بنبرة فاترة:

" أصدق كلامك ، لكن ، إياك أن تخبرني أنك لم تلمسها
قط ! "

عندئذ ، رمّقها بنظرة جفاء وقال:

" إنها جميلة ، وأعجبت فيها في البداية . لعلي عانقتها
مرات عدّة ، لكن من الصعب أن ترتبطي بأمرأة لا
ت肯 الحديث عن زوجها ، ولم أتخطى حدودي مرّة إن
كان هذا ماتسألين عنه فعلاً "

لكن كلير لم تصدقه ، وسرعان ما سألته بغضب:
" هل تعني أنها كذبت علي حين أخبرتني أنها مهووسة
بك؟ "

فهز كتفيه بنزق:

" لا أدرى ماذا أخبرتك. ولا أملك أدنى فكرة عن حقيقة مشاعرها حينها يا كلير. ولذا لا أستطيع الكلام إلا عن نفسي . فأنا لم أغرم بهيلين ، ولم أمسها قط "

ولم تملك إلا أن تصدقه، فالسخط المصقول على وجهه بدا غاية في الاقناع، لاسيما حين أغلق عينيه بتنهد وأضاف :

" هل تريدين مني لائحة مفصلة بكل النساء اللواتي

مررن بحياتي ، وبما فعلته بهن؟ "

فردت بحدة :

" كلا طبعاً. لكن ما من داع لتفاجأ، اذا ظنت أنك من النوع المتلاعب ، فالامر لا يقتصر على هيلين وحسب. وماذا عن لوسي ، وتلك الممثلة التي لا أعرف اسمها..."

" عاشت بيلا حياة مأساوية ، لكن لا شأن لي بهذا.

بل على العكس، منحتها الفرصة، غير مرة لتنتشل نفسها من الهاوية. كما عرضت عليها دوراً في فيلم ، أحالها إلى نجمة كبيرة منذ الإطلالة الأولى . وواجهت لأبعادها عن المخدرات ، لكن ، كيف للمرء أن يساعد أناساً لا يرغبون في تلقي المساعدة؟ كانت بيلا تكره نفسها، وتبغض الحياة ، ولطالما تمنت الموت . وبدت لي حياتها محطمة قبل أن التقي بها بوقت طويلا.

والتفت إلى كلير بغضب، وأكمل :

" أخبرتك بكل هذا من قبل..."

فأومأت برأسها:

" أذكر ذلك، لكن..."

" لكنك لم تصدقيني؟ "

كان صوته عميقاً، قاسياً، لا سيما حين تابع :
" لا يمكنني أن أجبرك على تصديقي ، فعلي أن أتقبل
هذا الواقع. "

ولما صعقها وجهه الغاضب ، وضعت يدها على كتفه
، بدافع غريزي وقالت :
" أنا آسفة ... وأصدقك فعلاً "

لكن الغضب لم يتلاش عن وجهه:
" إذاً، لم سألتني مجدداً؟ "

فغضبت شفتها ، وقالت بنبرة تقارب النحيب:

" لست أدرى... فقد توقفت عن التفكير بمنطقٍ "

عندما لوى فمه بعبوس وقال:

" أتعنين أنك تملkin فكرة ثابته عني، وأنني مهما
شرحت لك خطأك، ستنظرين إلى دائماً كأنني نوع من

...ماذا دعوتنى في المرة الماضية؟ مصاص دماء عاشق؟

"

فأجفلت كlier:

"نعم ، أنا آسفة. وأظنني أفكر في ذلك منذ التقائك
للمرة الأولى ، حين اصطحبتك وهيلين لرؤية البحيرة
السوداء. في الواقع ، ظنتها في البداية تتعاطى
المخدرات ، فعيناها بدت ناعستين ، ورغم ذلك ما
انفككتا تلمعان . ومن ثم أدركت أنها متعلقة بك لا
بالمخدرات ، واستنتجت أنكمما عاشقان . لكن هيلين
لم تكن سعيدة . وعلى مر الأشهر المقبلة ، ازدادت
حالتها سوءاً . وبذا لي أنها تعلق عليك آمالاً كبيرة ،
وتزداد نحولاً ووهناً يوماً بعد يوم ، إلى أن أغمي عليها
في الشارع ذات مرة . "

" وألقيت اللوم على مباشرة ! "

فأجابت وقد احمر وجهها :

"في الحقيقة، فيمن عساي أفكر إذا، وقد أعطتني

هپلین نفسها انطباعاً أنها تعيسة بسببك؟ "

عندي رد دنزل بماراة:

"كمعظم النساء، وجدت صعوبة في الاعتراف"

بالحقيقة، وهي أنها ت يريد استرجاع زوجها . لكنها ظنت

أنه لم يعد يحبها، ومنعتها الكبراء من الافصاح عن

جبها. وقد تذرعت بي، واتخذتنى عذراً عاطفياً. فان

سأله أحداً لم تبدو كالاموات ، المحت الى انها مغممة بي

2

کان فمه قویاً، و کانه یمسک بزمام انفعاله.

"إن كان من تعرض للاستغلال ، فهو أنا ! وقبل أن

تَخْوِضِي فِي مَوْضِعِ أَخْتَكَ ، أَذْكُرْكَ أَنْيَ لَمْ أَلْسِهَا

"بِاِصْبَعٍ قَطْ !"

ردت :

" ليس حتى الآن، على الأقل "

فأجابها بحدة:

" هل تتهمني فعلاً بعلاقة هذه الدمية الصغيرة الجميلة؟ لاشك في أنك مجنونه ، فالمرأة التي ألاحقها منذ جئت الى غرينهاوي هي أنت ! " وأوشك نفسها على الانقطاع، فحدقت فيه، وهي تهز وجهها الشاحب ، وتقول:

" لم تكن تلاحظني ! "

" حاولت ذلك ، لكن كلما ظهرت ، صفت الباب في وجهي. ولمدة ، ظللت أرفض الإسلام ، فاتصلت بك ، وحضرت الى مكتبك ، وحاولت أن أ وعدك. ومن ثم أخبرتني أنك على علاقة جدية برجل

" آخر.

أجفلت ، ثم تذكرت ما أخبرته به ، فتورد وجهها

مجدداً وقالت :

"آه ، أنت تقصد جوني..."

فنظر في عينيها بحدة يقظة:

"نعم ، جوني بريتشارد. لم أعرف من تعنين في البداية . وصادف أن سألت لوسي عن هوية صديقك جوني ، فأخبرتني مباشرة أنك تخرجين مع محامي، ثم ضحكت وقالت إنك تبددين مجنونة به، رغم أنه ممل جداً. وبالطبع ، وافقتها الرأي، بما أنني كنت أعرف بريتشارد. ولكن مامن معيار محدد للذوق، ومن النساء

من يحب أغرب الرجال."

دافعت كلير عنه بحدة:

"لحوني مميزات كثيرة ، فهو ساحر، وعاطفي ووسيم.."

ثم أضافت :

"كما أنه محب للحيوانات ولطيف مع أمه "

"نعم ، أعرف ، فقد قلت أنني التقيت به ، وبأمه أيضاً. وهي بالمناسبة قبيحة، وأشك في أنها قد تقبل بك. "

فما كان من كلير إلا أن رفعت ذقنها بانتصار: " في الواقع ، إنها تحبني . وقد عرفتني طيلة حياتي، لكنها لم تحب زوجة جوين السابقة، وأظن أنها ساعدت على فسخ علاقتهما. أما أنا، فلطالما أحبتني دائمًا. كما إنني أحب جوين أيضًا " لكنه علق ببرودة:

"لكنك كذبت حين أخبرتني أن العلاقة جادة فاتخذت موقفاً عدوانياً" " ومن قال ذلك؟ " " أنا ! "

وَمَا أَنْ أَتَمْ كَلَامَهُ، حَتَّىْ أَمْسَكَتْ يَدَهُ الطَّلِيقَةَ بِذَقْنِهَا،
وَأَرْجَعَهُ إِلَى الْوَرَاءِ، فَحَاوَلَتْ كَلِيرْ أَنْ تَحرُرَ مِنْ قَبْضَتِهِ
، لَكِنَّهُ أَمْسَكَ بِهَا بِإِحْكَامٍ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى عَيْنِيهَا
الزَّرْقاوِينَ الَّتِينَ اتَّسَعُتَا إِنْذَارًاً بِالْخَطَرِ.

وَأَضَافَ بِنَعْوَمَةٍ، فِيمَا الدَّمُ الْحَارُ يَجْرِيُ فِي جَسَدِهَا كُلَّهُ

:

"مَا كُنْتُ لِتَعْانِقِيْنِي كَمَا فَعَلْتُ الْلَّيْلَةَ الْمَاضِيَّةَ، لَوْ أَنِّي

تَحْبَبُنِي رَجُلًاً آخَرَ يَا كَلِيرْ"

"لَا يَكُنْكَ التَّأْكِيدُ مِنْ ذَلِكَ! فَقَدْ قَلْتَ بِنَفْسِكَ إِنِّي

أَجِيدُ التَّمْثِيلَ."

ضَحَّكَ وَعَلَقَ :

"لَكِنْ مَا حَصَلَ أَمْسٌ لَمْ يَكُنْ تَمْثِيلًا يَا كَلِيرْ"

فَهَتَّفَتْ وَفِي صُوْتِهَا شَيْءٌ مِنْ الْيَأسِ:

"أَنْتَ لَا تَعْرِفُنِي"

"بل أعرفك أكثر مما تظنين . فخلال كل تلك
الاسبوع ، كنت أعمل مع أختك، وأتعلم عنك ما
استطعت . بالطبع ، غالباً ما تتكلم لوسي عن نفسها ،
لكن لا يسعها أن تذكر نفسها من دون أن تتطرق إلى
عائلتها بمن فيها أنت . وهكذا ، عرفت عنك الكثير ،
من الكتب التي تقرأينها ، إلى فطورك المفضل . "

ولمعت عيناه وهو يضيف :

" وأخبرتني أيضاً أنك شاهدت أفلامي مراراً تكراراً . "

فتوردت بشرتها ، وهي ترد :

" في الواقع ، كنتأشعر بالفضول نحوك ، لأنني خفت
على ... على لوسي ، ففكرت في أن أفلامك ستنبئني
عن نوعية الرجل الذي فيك ، والى أي مدى أستطيع
الوثق فيك "

فتشدق في كلامه :

" وهل صدق ظنك؟ "

ردت بلهجة بعيدة:

" تعلمـتـ الـكـثـيرـ . "

وراح يضايقها بنعومه خطفـتـ النـبـضـ منـ قـلـبـهاـ لـبرـهـةـ :

" وماذا تعلمـتـ؟ وباـلـحـدـيـثـ عنـ ذـلـكـ، ماـرأـيـكـ

بـأـفـلـامـيـ؟ هلـ اـسـتـمـتـعـتـ بـهـاـ، حـينـماـ أـعـدـتـ مشـاهـدـهـاـ؟

"

فتـلـعـثـمـتـ :

" إـنـهـاـ جـيـدـهـ جـداـً "

ثمـ سـأـلـهـاـ دـنـزـلـ وـأـصـابـعـهـ تـتـلاـعـبـ بـخـصـلـاتـ شـعـرـهـاـ :

" هلـ كـانـتـ حـيـاتـكـ العـاطـفـيـهـ مـذـهـلـهـ فـيـ المـاضـيـ؟ "

فرـدـتـ وـهـيـ لـاـ تـسـطـعـ أـنـ تـخـفـيـ غـيـرـهـاـ:

" أـتـعـنيـ كـحـيـاتـكـ؟ "

وـتـابـعـتـ يـدـهـ مـسـيرـهـاـ عـلـىـ وـجـهـهـاـ بـرـقـةـ ، وـهـوـ يـتـمـمـ :

"لطالما أحبت حياتي العاطفية المرتبة الثانية بعد عملي، يا كlier. لم أكن أملك الوقت الكافي لأنتقى أحداً خارج نطاق عملي. وحين أقوم بإخراج فيلم ، ألتقي عادة بامرأة أعجب بها كثيراً، وأظن أنني سأقع في غرامها .لكن ما إن ينتهي الفيلم، حتى أنتقل إلى غيره، وهي كذلك، فتقل لقاءاتنا تدريجياً، وتنتهي العلاقة عاجلاً أم آجلاً. وهكذا هي الحال في مهنتنا "

ثم تابع :

"لم تجيبي عن سؤالي يا كlier. أخبريني عن حياتك العاطفية "

"لابد انك تعرف كل شيء يعني من لوسي. " وما فائدة الكذب الآن؟ فلا شك أن لوسي كانت صريحة في ما يتعلق بحياة اختها العاطفية المملة.

وما لبثت أن أقرت وهي تلاحظ ابتسامته :

" لم تكن مثيرية الى حد تخطف فيه العقول " " وهذه هي حالي أيضاً، وبعد طفولتي ، منعني حذري من المجازفة. "

فتنهدت كلير:

" إن الحب مجازفة، أليس كذلك؟ أعرف ماذا تقصد فلقد وقعت في الحب مرة ، ثم جرحت جرحاً بليغاً "

فاحتدت عيناه:

" أكان الشاب الذي حاول التودد إليك ليلة الميلاد؟ "

فأومأت برأسها ، مما دفعه الى النتابعه بهدوء:

" إذاً، أغرتت به مرة "

" ظنت ذلك ملدة ، لكنني أدركت أنني لم أبد نحو هال التزاماً حقيقياً. ففي ذلك الوقت ، كان علي أن أهتم بأولويات أخرى هي عائلتي، اي أخوتي ووالدي . كانوا

يحتاجون الي، أكثر من هال . وما كان علي أن أتفاجأ حين رحل مع امرأة أخرى ، فلا شك أنها منحته ما لم أفعله. وكل علاقة ترتكز على شخصين ويتوقع الناس أن يستردوا ما يمنحوه. وبما أنني لم أعط هال ما أراده ، فقد رحل بحثاً عن مبتغاه في مكان آخر.

بدا ثغر دنزل ملتوياً، واستحالت نظراته عنيفة

ومتفهمة، وهو يقول :

" تبدين كإنسانة باردة يا كلير ، وقد خدعتني لفترة لكن ، في الليلة الماضية ، أدركت أنك لست بالبرودة التي تدعينها. "

فتتجنبت نظراته وهي متوردة الوجه:

" في الواقع، أظن أن كلامنا بارد. "

" انتظرت كل حياتي إنساناً أستطيع الوثوق به. لكن ، بما أنني لم أكن أثق بأحد ، خاف الناس مني ، مما

ضاعف شكي فيهم . ولم تبن علاقتي على اسس متساوية قط . فإذا ما أن الفتاة تخضع لي ، فأحتقرها ، وإنما أني استحيل صديق المرأة المفضل . ومع أنها تستغلني لتلقي على بحمل مشاكلها ، إلا أنها تعود وتحتقرني من جراء ذلك . " www.Comilb.com

أجابت كلير بنبرة جافة :

" يبدو لي إنك تعرف هيلين ولوسي جيداً . كما أنك تدعى معرفتي أيضاً "

وما كان منه إلا ان ضحك على نحو فظ ، وقال :

" أعتبر علاقتي بهيلين ولوسي نموذجاً واضحاً عن كل علاقتي مع النساء حتى الان . ولطالما دفعني الفضول الى الرغبة في اكتشاف أفكار النساء... أحب أن أصغي إليهن فيما يتكلمن ، وأحب أن أدفعهن الى

الحاديـث عن أنفسهن ، وعن مشاعرـهن ، وعن

طموحهن في الحياة. وبقيت أتمنى لو أستطيع التوغل في أذهاهن، عساي أفهم الواحدة منها جيداً، لكن أمالي ذهبت أدراج الرياح. فلم أفهمهن قط كما فهمت الرجال. وأظن أن الرجال لا يفهمون النساء أبداً، فعقولنا غاية في الاختلاف"

فعلقت كلير بحدة ، وهي تدفع يده بعيداً عنها:

" يا هذا الهراء ! وهلاً توقفت عن العبث بشعرى ؟ "

" لن تقولي لي ان الرجال والنساء متباينون، أليس

كذلك يا كلير؟ "

" كلا طبعاً، نحن مختلفون لكن... "

قاطعها، ووميض قاس في عينيه:

" في تلك الاشهر، فكرت فيك ، حتى أثرت حيرتي. وقضيت وقتاً طويلاً، وأنا أحاول فك لغزك. لكنني لم أحلم قط بكل هذا الشغف المسجون في قلبك. وحين

بدأت تعانقيني ، فكرت في أنك أصبحت لي أخيراً.
ولكن ، قبل أن أدرك ماذا يجري، رحلتِ، لتتركيني في
حالة من اليأس. وهجرني النوم لساعات، أما الآن
"فستعيوضيني عن كل هذا.

ونظر في عينيها، وسألها :

" أنت تحبيني فعلاً، أليس كذلك يا كلير؟ "

" نعم "

نطقت بالحقيقة على الرغم منها، لا سيما أنه لم يترك لها مجالاً للكذب أو التظاهر، أو أخفاء المشاعر. قال :

" كلير... أظن أنني لن أفهمك أبداً. كل ما أعرفه هو أنك تجرين في دمي، ولا أستطيع التفكير في سواك.

وبعد الليلة الماضية، قد أرتكب جريمة في مقابل ضمك

بین ذراعی "

وفي هذه اللحظة بالذات ، شعرت بأنها تحلم ، كما حلمت عشيّة الميلاد، قبل أشهر ، وكما كانت تحلم طيلة حياتها بذلك الرجل الذي يقبل إليها من خلف ستار الليل ، ليحملها ويرحل بها.

وبتأوه حاد، تاقت إلى أن يعانقها. وعندما فهمت أنها عناقهما الحقيقي الأول. ففي الليلة الماضية ، بقيت تعذبه وترفض أن يدوم عناقهما أكثر من ثانية. أما الآن، فقد نزل هو المسيطر.

" يا إلهي ... كلير... أنا... أنا أحبك. "

أحسست كlier بالدموع تحرق عينيها ، وعجزت عن الكلام . أما هو، فأخذ يهمس:

" أنا مجنون بك منذ مدة طويلة، منذ اليوم الأول... في مكتبك... كنت غاية في البرودة والخشونة، بل شقراء باردة في عينيها تهديداً صريح. فألقيت عليك نظرة،

ووددت أن أعرف إلى أي مدى يمكن للجليد أن
يذوب "

فردت من غير أن تتفاجأ:
" أحقاً؟ "

ألم يكن هذا ما شكت فيه؟ فضحك وأجاب :
" نعم ، لقد أعجبت بك بشده منذ البداية، لكنني
أغرمت بك عشية الميلاد، حين جئت إلى منزلك ،
ورأيتكم نائمة في كرسي أمام النار... ثم فتحت عينيك ،
ونظرت إلى بطريقة عصرت قلبي عصراً. وكان شعرك
الجميل يغمر المكان، ووجهك متسع متورد. وللحمرة
الأولى منذ عرفتك، بدت لي إنسانة حقيقية تنبض
بالحياة. وتملكني رغبة قوية في معانكـتك، منعـتنـي من
النوم طـيلة اللـيل، وـأنا أـفـكـرـ فيـكـ "

عندئـذـ أـجـابـتـ بصـوتـ أـجـشـ:

"كنت أحلم بك"

فاستسعت عيناه، وتناثر إليها انحباس أنفاسه:

"كلير! ماذا حلمت؟"

لم تتأنْ تعرف ، وقالت :

"لا أذكر ولكنني فتحت عيني حين فتح الباب، وأبصرتكم أمامي. فلم أعرف أن كنت أحلم أم لا، إلا حين رأيت أبي ولوسي والآخرين وراءك في الرواق " ولم تعتقد أن الوقت مناسب لتخبره تفاصيل حلمها . ولعلها لن تخبره أبداً.

"ليتني عرفت... لكنّا وفرنا الكثير من الوقت الضائع.

"

وحاولت كلير أن تخيطه بذراعيها ، ولكن القيد أفشل مرادها ، فسألته:

"ألا يمكننا أن ننزع القيد الآن "

فأشار عليها:

"سيتوجب علينا النهوض والبحث عن المفتاح "

وكرهت أن تقطع تلك اللحظة السعيدة التي تجمعهما

، وقالت :

"لننتظر قليلاً إذاً"

وبدأت يدها تداعب شعره وتنعم بدفعه ملمسه

...وراحت تهمس له:

"أحبك...علمت أنني سأحبك منذ رأيتكم..."

فعانقها بعنف، ثم قال:

"بل كرهتني منذ رأيتني يا كلير، وقد أوضحت ذلك

جيداً"

عندما ، اعترفت :

"بل كنت خائفة منك، خائفة من حبك، خائفة من

الألم. ولم أرد أن تسسيطر علي "

فأسأها ، وفي صوته تلهف خفي:

" وهل أسيطر عليك؟ "

اختلست كلير النظر اليه من تحت أهدابها. وعرفت

أنه من غير الحكمة أن تخبره أنه يمارس عليها سلطة

قوية ورهيبة . ومالت أن قالت:

" أحبك... ألا يكفيك هذا؟ "

وفكرت في أنه لن يعرف أبداً أن الحب هو القوة

الوحيدة التي كانت تخشاها دوماً.

و أمسك دنزل بيدها الطليقة، و قبل راحتها بعمق

و حرارة، و عيناه مغمضتان، وعلى وجهه عاطفة توaque ،

وقال :

" أنت تسيطررين علي كلير. وأنا لك بكمالي. ولو أن

هذه لا تعد قوة ، فماذا يبقى؟ . "